من الأدب الساخر
شمس
للنشر والإعلام
اتفرج يا سلام
قصص
قصيرة
عادل إدريس المسلمي

انفرج يا سلام

عادل إدريس المسلمي

الكتاب : انفرج يا سلام (أدب ساخر)
المؤلف : عادل إدريس المسلمي
الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠١٣
رقم الإيداع : ٢٠١٣/٢٢٤١
الترقيم الدولي : I.S.B.N: 978 - 977 - 493 - 120- 8

الناشر
شمس للنشر والإعلام
٨٠٥٣ ش ٤٤ الهضبة الوسطى-المقطم-القاهرة
ت/فاكس: ٠٢٢٧٢٧٠٠٠٤(+٢) / ٠١٢٨٨٩٠٠٦٥(+٢)
www.shams-group.net

تصميم الغلاف : إسلام الشماع



انفرج يا سلام

قصص قصيرة

عادل إدريس المسلمي

إهـــداء

إلى روح أمي وأبي

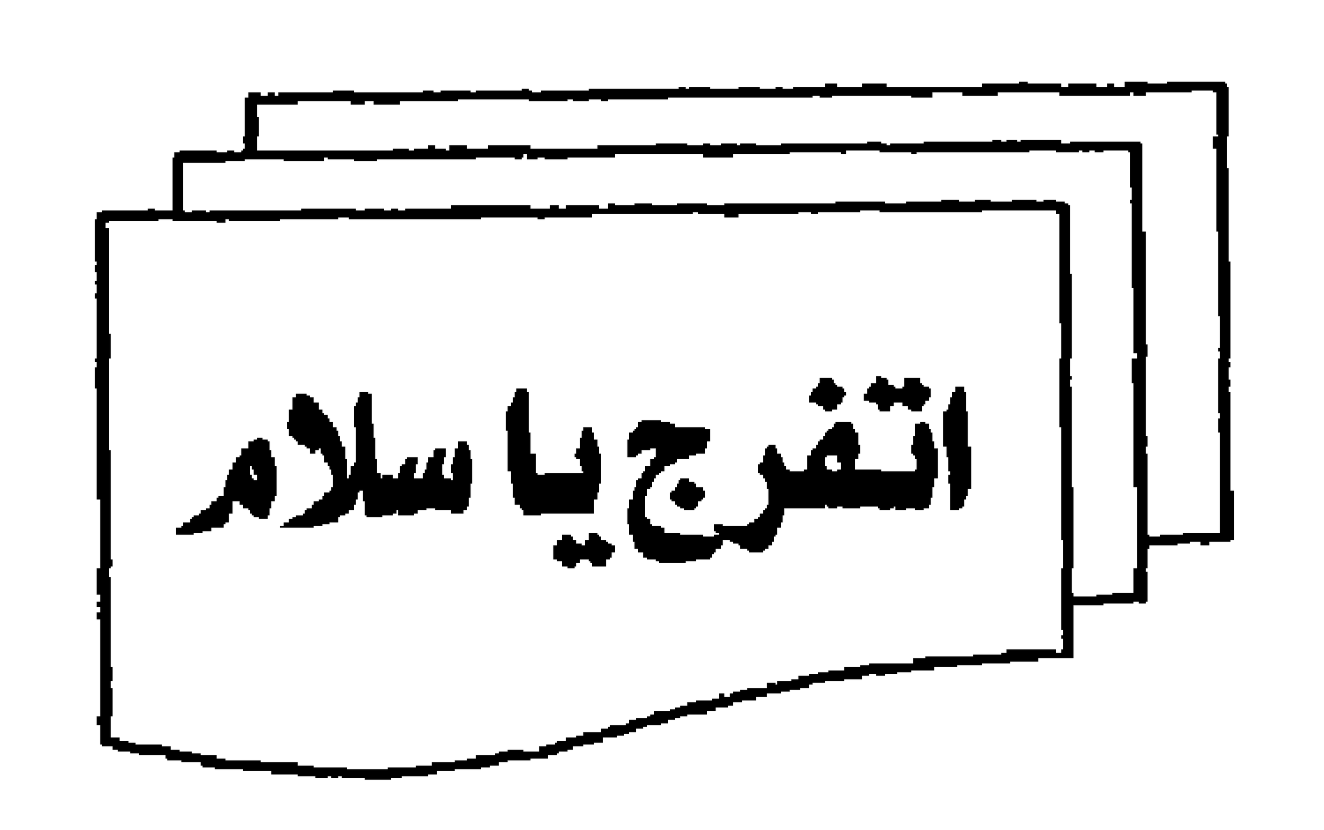
إلى عائلتي الحبيبة

إلى كل من أحبهم

إلى كل من شارك في إخراج هذا العمل

لا زال الجهل يتملك منا ، حتى أصبح متسرطنًا بعقولنا ، فالعادات والتقاليد الموروثة صارت سمة من سمات مجتمعنا بطيبته المفرعة، فمهما كان هناك تحضر بأشكاله المختلفة، ومهما كانت هناك عقول نالت من درجات العلم.. فإن السذاجة المفرطة تأبى أن تفارقها .

عادل إدريس المسلمي



فجأة وبدون مقدمات راح يصرخ بأعلى صوته: "أنا تعبان، أنا عيان، مش واكل هاموت يا ناس كل حتة في جسمي بتنقح عليَّ وبطني منفوخة وبتوجعني ورايح جاي على الحمام، ارحموني".

سكت صراخه ولم تمر دقائق معدودات إلا وراحت زوجته وبناته الأربع يتناوبن الصراخ، واعتقد الجيران أن مكروهًا قد حلَّ بالحاج خميس أو أحد أفراد أسرته... وبسرعة البرق ازدحمت الشقة وسلالم المنزل بنساء الحي، فزوجة الحاج خميس "الست عطا" مجاملة جدًا وخاصة في المصائب وصوتها له رنته المعروفة وهذا الجمع من النساء جئن لرد الجميل. وعلى مدخل العمارة وقف جمعٌ غفير من البشر يتقصى الخبر، واشتد الزحام، وساعد على ذلك أن اليوم هو رابع أيام عيد الأضحى وأن الشارع الذي تقع به العمارة يؤدي إلى محطة لمترو الأنفاق وإلى إحدى الحدائق العامة..

صار المشهد كسوق الجمعة أو كمولد سيدي شخبوط، وكثرت الأقاويل وانتشرت الإشاعات، فهناك من يقول إنه انفجار أنبوبة

بوتاجاز بإحدى الشقق، ولكن عم ياسين صاحب محل البقالة المقابل للمنزل قال لـ علي المكوجي: "الظاهر أن عم جابر السباك قتل مراته، ما هو دايمًا بيتخانق معاها ومسودة عيشته". وقال أحد سكان المنزل؛ وكان قد وصل لتوه: "الصويت والخناق اللي بتقولوا عليه ده ما يطلعش إلا من شقة الأسطى علي بورسلين دايمًا بيضرب ابنه ميزو علشان بيشم كولة ". إلا أن الشيخ منصور الحناوي القاطن بالعمارة المجاورة كان أكثر تهدئة للموقف، فبعد أن وجَّه نظره لأعلى؛ هزَّ رأسه وقال لزوجته: " تلاقي الست اللي في الدور التالت بتتخانق مع اللي في الدور الرابع علشان الغسيل اللي بينقط، ما هي دي مش أول مرة يتخانقوا، الله يحرق النسوان بجاز".

بدأت حركة المرور تتأزم في الشارع والشوارع المجاورة وجاء دعم من ضباط وعساكر المرور لتنظيم وتسيير هذا الكم الكبير الواقف دون حركة من كافة أنواع السيارات، ومكبر الصوت ينطلق من سيارة الإسعاف ينادي مطالبًا قائدي السيارات سرعة فتح الطريق ويكرر حتى وصل الأمر بأن يردد: " يا إخواننا الحالة صعبة وهناك ناس مطلوب نجدتهم بسرعة والتأخير سيؤدي إلى كارثة ". وها هي سيارة المطافئ تطلق السارينة ونداءات متكررة بفتح الطريق.. ومازاد الطين بلة أن أحد قائدي سيارات الميكروباص أشاع بأن هناك حادثة بشعة نتيجة تصادم في مترو الأنفاق والوفيات بالمئات. وبدأت التليفونات المحمولة

تعمل والكل يسأل ليطمئن أو للاعتذار عن التأخير. وامتلأ مقهى المزاج العالي - وهو الوحيد بالمنطقة - بالناس الذين تركوا سياراتهم واقفة لحين انفراج الأزمة المرورية، وطلب المعلم حمودة صاحب المقهى كل الكراسي الموجودة بمحل الفراشة المجاور بما في ذلك كنبة المقرئ، وأصبح هناك رواجٌ اقتصاديٌ بالمنطقة؛ فما من مطعم أو محل إلا وكان عليه زحامٌ شديدٌ، والكل انتهز الفرصة ليبيع بضعف السعر وتصريف أية بضاعة؛ حتى المنتهية صلاحيتها؛ فقد وصلت زجاجة المياه المعدنية صغيرة الحجم لجنيهين ونصف، والمياه الغازية لثلاثة جنيهات، أما سندوتش الفول أو الطعمية الشامي فقد وصل سعره بدون الطرشى لجنيهين.. وكان أكبر المستفيدين هو ريعو البقال، فقد شغل مخه فسارع بشراء كمية كبيرة من العيش الفينو ولمّ علب البلوبيف واللانشون المنتهية صلاحيتها من على أرفف الدكان وكان يبيع السندوتش بخمسة جنيهات.. والكل أكل واتقرع.

وبالمصادفة تُوفي عم حسنين الصرماتي صاحب محل لتصليح الأحذية، وكانت صلاة الجنازة عليه هي الأكبر حشدًا ولم يضاهيها عددًا إلا جنازات كبار رجالات الدولة أو مشاهير الفنانين؛ برغم أن أقاربه أو معارفه بالحي يعدون على أصابع اليد الواحدة.فهو ليس من أهل الحي، وبصعوبة بالغة تم نقل الجثمان من المسجد إلى أول الشارع عن طريق رفعه ودفعه فوق أسطح السيارات الواقفة، وعندما رأت إحدى السيدات ذلك

وكانت تُدعى نعيمة الغلبانة - ولُقبت بالغلبانة لطيبتها الشديدة بين أهل الحي - صور لها أن جثمان حسنين الصرماتي يطير فوق السيارات الواقفة، فهللت وصارت تقول وتحلف لمن تقابلها من سيدات الحي إن حسنين الصرماتي نعشه كان طاير طيران لأنه كان راجل بركة وله كرامات لا يعرفها أحد وهي الوحيدة التي تعرفها. وانتشر الخبر بين سيدات الحي فمن لا يصدق نعيمة الغلبانة فهي التي يتبارك بها أهل الحي جميعًا.. وأصبح حسنين الصرماتي الجزماتي من الأولياء الصالحين، واقترحت بعضهن أن يكون له مولد أعظم من مولد سيدي شخبوط الذي يُقام في الحي المجاور.

وعلى الجانب الآخر فتحت إحدى بنات الحاج خميس البلكونة لتحضر عود نعناع أخضر من الأصيص المعلق بسور البلكونة لتضعه على الشاي ليعدل مزاج أمها فرأت المنظر وهذا الجمع من البشر، فسألت جارتها التي كانت تقف بالبلكونة المقابلة ترقب الأحداث عن سبب هذا الزحام فذكرت لها موضوع تصادم مترو الأنفاق، وبسرعة البرق عرف جميع من بالشقة الخبر وعلا الصراخ، فمن تقول ابني، ومن تقول جوزي.. وعلى السلالم نزلن مسرعات إلى الشارع.. وما أن رأى خليل برشامة هذا المنظر وكان وقتها مونون ومزاجه عالي فصاح بأعلى صوته: " الأرض بتتهز والعمارة بترقص، ده باين عليه زلزال قوي" فلفت أنظار من بالشارع فأصابهم الذعر فأخذوا ينبهون

سكان العمارات المجاورة الذين حملوا أمتعتهم الشخصية وما خف وزنه وغلا ثمنه وخرجوا إلى الشارع وهم يصرخون.

وأخيرًا.. وصلت قوات الأمن المركزي مترجلة حتى وصلت إلى الشارع وعملت كردون على ناصيتيه وأبعدت الناس، وأتبعها رجال الإنقاذ حاملين ما استطاعوا من معدات فهناك استحالة لمرور أية سيارة.. وشمت وكالات الأنباء الخبر فوصلت قوافلهم المرئية والمسموعة، فها هي مذيعة إحدى القنوات الفضائية تقف فوق إحدى سيارات النصف نقل لتوصف الحدث بصورة أفضل وكلما همت لتبدأ الكلام تتطاير الجيب التي ترتديها لأعلى من شدة الهواء فتعتذر وتكرر هذا الموقف عدة مرات، إلى أن ناولها أحد المتواجدين البالطو الخاص به وبدأت تستفسر وتسأل الموجودين في موقع الحدث، وبالطبع كان أول المتحدثين صاحب البالطو فعدل من نفسه وبدأ يتكلم ويوصف بأنه أثناء وجوده بشقته بالدور الرابع بالعمارة الموجودة بهذا الشارع كان وقتها يشاهد برنامجه المحبب بالقناة التي تتبع لها المذيعة لأنه من المعجبين وفجأة أحسَّ بهزة قوية واهتزت جدران الشقة بشدة فأغلق التلفزيون وشد البالطو من على الشماعة ونزل مسرعًا للشارع.. وعندما قاطعته المذيعة لسؤال شخص آخر طلب منها البالطو لأنه أحس بالبرد فخلعته، واضطر المخرج لتوجيه الكاميرا إلى منظر جنود الأمن المركزي وهم يغلقون الشارع، ثم انقطع الإرسال وبدأت القناة

تذيع من الأستوديو بعض الموسيقى الخفيفة لحين عودة الإرسال، فتشكك الناس في الأمر، فعلى الفضائية المصرية لا حس ولا خبر عن الموضوع وتعرض فيلم الإرهاب والكباب، بينما القناة الأولى تعرض برنامج عن الإسعافات الأولية، ومع سريان إشاعة خبر التصادم ربط الناس بين ما يعرض في القناتين المصرية والأولى مع مجريات الأحداث، وبسرعة البرق وصل الخبر لجميع أنحاء الجمهورية، بل تعدى الحدود عن طريق الفضائيات، فقناة شمس العرب أذاعت تقريرًا جاء فيه بأنها انفجارات هائلة راح ضحيتها الكثير من الأبرياء نتيجة عمل إرهابي في محطة لمترو الأنفاق ولم تعلن حتى الآن أي جماعة مسؤوليتها عن هذه الانفجارات وجاري الاتصال بكافة الجماعات للإفادة وسوف نتابع الأحداث لاحقًا من خلال مراسلها عدنان ساموخلي. أما قناة البحر الأعظم فقد ذكرت بأن أحد القطارات بالخط الأول لمترو الأنفاق تعطلت فرامله أثناء محاولته الوقوف في نهاية الخط فثقب الحائط ونفذ على الخط الثاني فاصطدم بأحد القطارات الذي كان يقف في إحدى المحطات ووقعت الكارثة التي راح ضحيتها المئات، وقد أوردت النبأ قناة الصحبة في صدر نشرتها الإخبارية على أنها تظاهرة كبيرة احتشد فيها الآلاف من رواد إحدى الحدائق العامة اعتراضًا على عدم وجود المراجيح والزحاليق بالحديقة مما أثار حفيظة الأطفال وذويهم وتتولى بلوكات حفظ الأمن التعامل

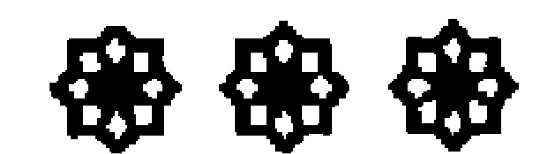
مع المتظاهرين بالقنابل المسيلة للدموع علاوة على إطلاق الرصاصات المطاطية فسقط الكثير من الجرحى ولم ترد أية أنباء عن وجود قتلى بين المتظاهرين.

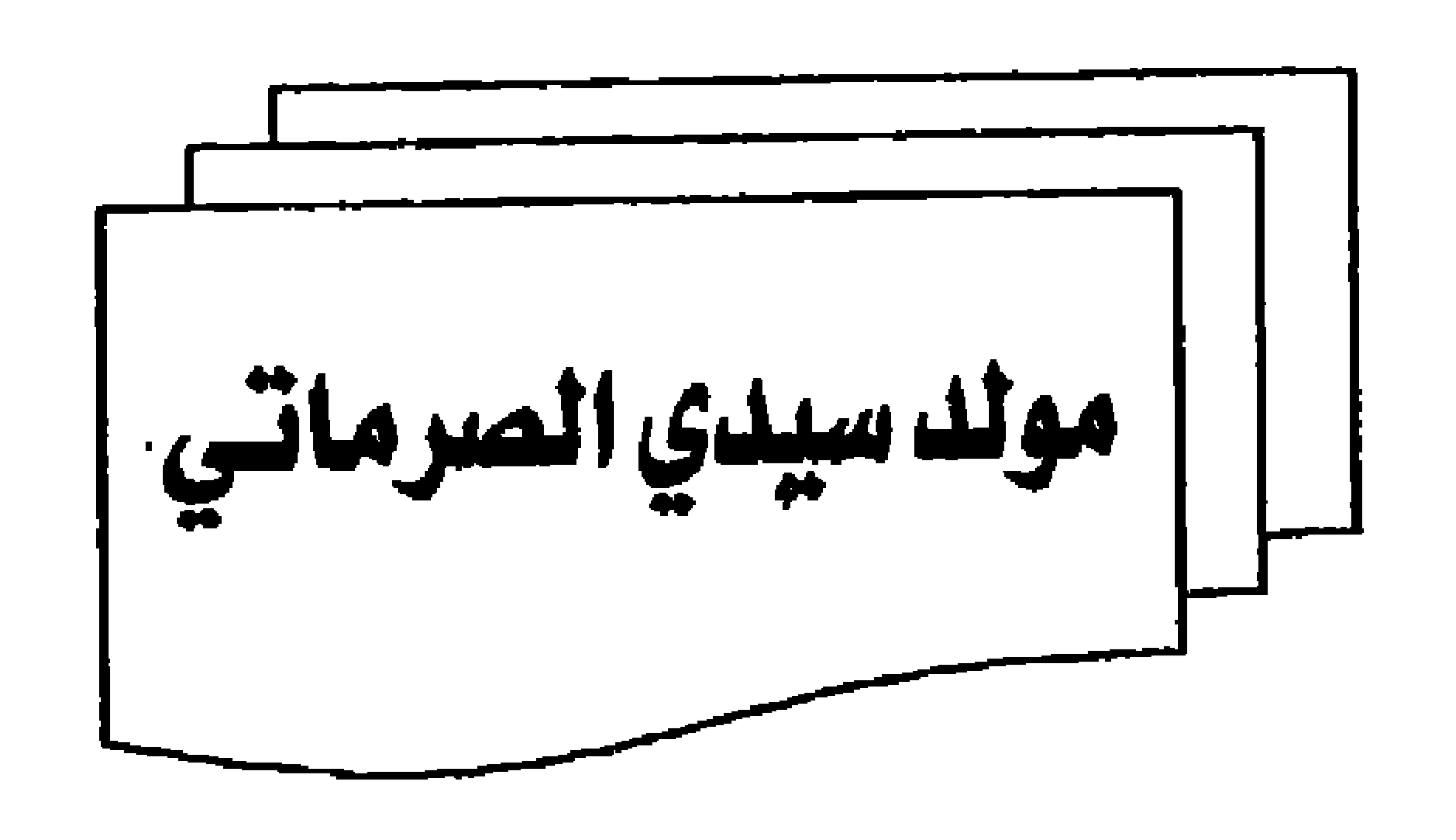
-وعلى الصعيد الدبلوماسي طلبت بعض السفارات الغربية والأجنبية من وزارة الخارجية تأكيد الخبر حتى يمكن إرسال المساعدات الإنسانية.

هذا وقد صدرت الأوامر للمسئولين بالتحرك الفوري للتحري عن حقيقة الأمر، وعلى إثر ذلك ظهر أحد المسئولين على الهواء مباشرة من موقع الأحداث وعلى جميع القنوات الفضائية ليعلن بأنه لا يوجد كما أشيع زلزال قد وقع، ولا تصادم بمترو الأنفاق، ولا تظاهرات، ولا انفجارات، ولا حتى جريمة قتل قد وقعت ولا غيره مما أشاعه البعض، وهناك حالة وفاة طبيعية واحدة بالمنطقة هي للمغفور له حسنين الصرماتي، وحقيقة الأمر أن الأخ خميس، واسمه بالكامل خميس السيد شحاتة، صاحب ورشة نجارة والقاطن بالعمارة التى نقف بأسفلها رقم ٧٩ بشارع السبع بحور الدور الثالث شقة رقم ٦ هو صاحب هذه المشكلة وتأزمها فأثناء قيام زوجته السيدة عطا جعيدر أبو السلامات بتجهيز الغداء له اليوم رابع أيام عيد الأضحى المبارك فوجد أن الطعام الموجود على المائدة مكون من اللحم الضأن المسلوق والمحمر علاوة على الفتة المعتادة بالخل

والثوم فانتابته نوبة هياج شديدة حيث كان قد نبه على زوجته السيدة عطا ليلة أمس بأنه لا يرغب في تناول اللحم اعتبارًا من اليوم لأنه منتفخ وعنده إسهال شديد وميل للقيء من كثرة أكل اللحم إلا أنها لم تمتثل للأمر ولَم تذعن لأوامره كرجل للبيت وكان ردها عليه بأنه لا يوجد سوى اللحم فما منه إلا أن فتح الثلاجة وأفرغ ما بها من لحوم وقام بإلقائها في منور العمارة، فلما رأت الست عطا ذلك صرخت ولطمت ووراءها بناتها الأربعة وظن الجيران بأن أحد أفراد أسرة الأخ خميس توفاه الله وحدث ما حدث وكانت الإشاعات والأقاويل التي سرت كالنار في الهشيم، وقد تَمَّ القبض على المذكور وزوجته بتهمة إزعاج السلطات وصدور أفعال أدت إلى التجمهر وتعطيل الحياة العامة وانتهى البيان.

وعادت قناة شمس العرب لتذيع تقريرًا عاجلاً مصورًا للحاج خميس مقبوضًا عليه هو وزوجته عطا على أنه الإرهابي وشريكته منفذا عملية تفجير محطة مترو الأنفاق والذي راح ضحيتها المدعو حسنين الصرماتي.!!





مولد سيدي الصرماتي

اليوم كل سنة وأنتم طيبين هو مناسبة الاحتفال السنوي بمولد سيدي الصرماتي، فقد تم التجهيز للاحتفال بأن نُصبت السرادقات منذ أسبوع، وعُلقت الزينات، وظهرت المراجيح بأشكالها المعتادة، واحتشد الآلاف من كل مكان قريب أو بعيد فهذا المولد بالذات يفوق الموالد الأخرى فقد ضرب الرقم القياسي من حيث عدد زواره بعد أن كان مولد سيدي شخبوط يفوقه عددًا، لا تعرف الأرجُل كيف تسير من شدة الزحام، ومكبرات الصوت تصم الأذان بالكاد تستطيع أن تفسر ما تسمعه إذا اقتربت من أحداها، فهذا سرادق الطريقة الحمزاوية، وبجانبه الطريقة البرغوتية، ويقابله سرادقان للطريقة البهلولية والطريقة المرعشية، علاوة على الكثير من السرادقات الصغيرة المتناثرة على جوانب الطريق المؤدي لصحن المولد، البعض منها تختص ببيع لعب الأطفال بكافة أشكالها والتي لا تُرى إلا في الموالد فقط؛ وبالأخص سيدي الصرماتي راكبًا حصانه ومرتديًا عِمَّة وعباءة وممسكًا بعصاه، والبعض الآخر من هذه السرادقات لرسم الوشم وقراءة البخت

والطالع والألعاب الشهيرة كالنيشان بالبندقية ورمي الكورة الشراب، كما يوجد سرادقين يختصان للختان تبركًا بسيدي الصرماتي. أما الطريقة الصرماتية فيقع سرادقها الكبير في صحن المولد وتبدأ منه أولى مراسم الاحتفال المهيب بالزفة، فيركب الشيخ طحاوي؛ شيخ الطريقة؛ الحصان الأبيض مرتديًا عمامة صفراء وجلباب أخضر لامع مزركش بالترتر الملون وبيده عصا صغيرة يقال إنها تخص سيدي الصرماتي؛ يلوح بها لجموع البشر الذين يمشون خلفه، وعندما يرفعها عاليًا يصيح الجميع في وقتٍ واحد: "بركاتك يا سيدي الصرماتي"، ويستمر الركب هكذا مارًا بشوارع الحي المكتظ بالبشر على جانبيه حتى يصل إلى ميدان يُطلق عليه ميدان النواسة - هكذا اسمه - ويقال إن سيدي الصرماتي كان يجلس فيه ليلاً مُمسكًا بلمبة جاز صغيرة وهي ما تعرف بـ"النواسة"، وهنا ينزل الشيخ طحاوى من على حصانه ويجلس في منتصف الميدان ويناوله أحد أتباعه النواسة فيرفعها عاليًا ثم يخفضها، ويستمر الوضع هكذا لمدة نصف ساعة، ثم يعاود ركوب حصانه عائدًا في نفس الطريق المؤدي إلى صحن المولد، ويتوقف الركب أمام السرادق الكبير وتُنحر الذبائح ويتولى أتباع الطريقة الطهي وإعداد صواني الفتة التي تُلتهم في ثوانٍ، وتدور عليهم بعد ذلك أكواب القرفة.

وحين يقف الحاج فرغلي وفرقته متوجهًا إلى المسرح المقام في نهاية السرادق ترتفع أصوات الموجودين بالتحية له، فهذا اليوم هو يومه، فهو يحضر خصيصًا لهذا المولد كل عام. ويبدأ الحاج فرغلي وفرقته في الإنشاد، وتتعالى الصيحات والآهات كلما تغنى بذكر بركات سيدي الصرماتي، وتنفرج أسارير وجه الحاج فرغلي فرحًا عندما يقف أحد الموجودين ويحلف بالطلاق ثلاث بأن يعيد مرة أخرى، ورغم أن الحاج فرغلي قد تجاوز السبعين من عمره إلا أن صوته الغليظ يدخل في "النَفوخ" كالصدمة الكهربائية المميتة، ويساعد على ذلك كثرة مكبرات الصوت المنتشرة داخل السرادق.

ويظل الحاج فرغلي في الإنشاد حتى يقف الشيخ طحاوي ويرفع عصاه عاليًا ويلف حول نفسه وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة فيتغير إيقاع الفرقة الموسيقية لإيقاع الذكر، ويبدأ المتواجدون في الالتفاف حول الشيخ طحاوي الذي يصفق بيديه تصفيقة منتظمة ويقول الحاج فرغلي أحلى كلام.

ويظل الوضع هكذا لمدة طويلة، واللي يتعب يريح مكانه، واللي يغمى عليه يشيلوه بعيدًا، وده فريسة عتريس شالموه يشطب عليه في ثوان من فلوس وخلافه ولا يسلم حتى من جزمته وجلبابه ويشوف غيره.

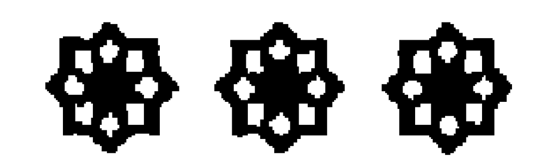
والحرامية في مولد سيدي الصرماتي لهم ميثاق شرف لا يتعدى أحدهم على شغل الآخر، فبخلاف عتريس شالموه يوجد سيد ضلمة، وهو نشال أصيل متخصص في نشل الركاب الذين يحضرون للمولد، فهو يركب من أول الخط لآخره، ويساعده حسنين السالك للتمويه والتنبيه.. أما سنية دندش فمكانها أمام السرادق الصغير المخصص لبيع عسلية سيدي الصرماتي وهذا المكان بالذات يشتد فيه الزحام، فعسلية سيدي الصرماتي والتي يصنعها عم جابر الأعرج يقال إنها تشفى جميع الأمراض المزمنة، وهي ما تحمله السيدات عند العودة لتوزعها على الحبايب والجيران، وتقوم سنية دندش بنشل كل ما تستطع من السيدات الواقفات من سلاسل أو حلقان وحتى الغوايش تخلعها من أيديهن بخفة يد عجيبة، وتساعدها فكرية العامشة فهي التي تعطى لها الإشارة وتستلم منها الغنائم لتواريها بسرعة الصاروخ.. أما داخل مقام سيدي الصرماتي فهو محجوز لفريقين؛ فريق حسنية بيبى ونواعم فرط الرمان، وتعملان أثناء زيارة السيدات للضريح والتي تبدأ من التاسعة صباحًا وحتى الواحدة ظهرًا، وتخصصهما ليس النشل فلم يعد هناك شيء ينشلنه من المتواجدات بعد ما خلصت عليهن سنية دندش وفكرية العامشة ولكن شغلتهما هي الأخطر فهما متخصصتان في خطف الأطفال الرضع وبيعهم للعاقرات مقابل مبالغ مالية كبيرة ولهن حيل ماكرة في ذلك دون أن يكتشفا.. أما الفريق

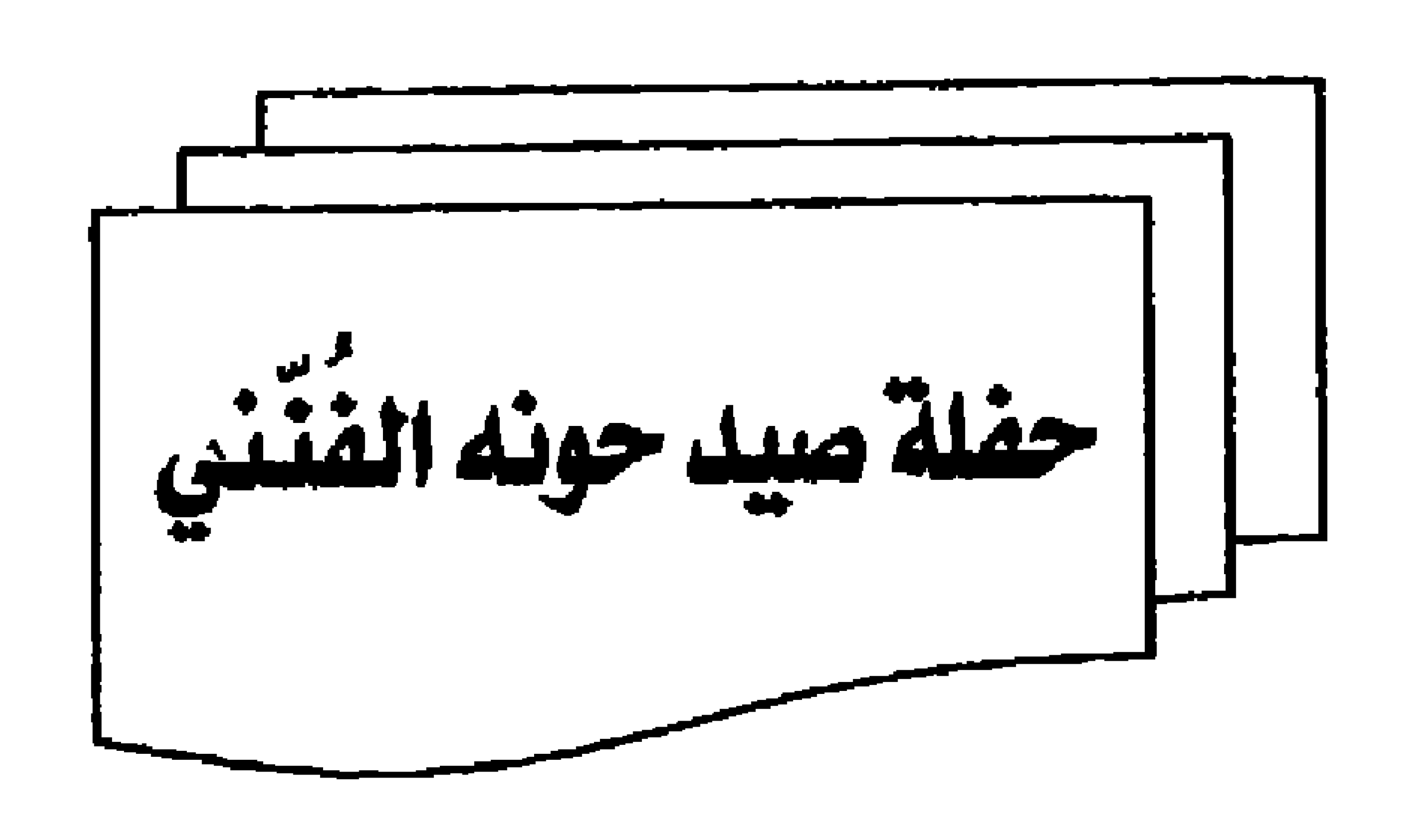
الثاني فهو فريق الحاج عبده كناريا والشيخ عباس بابا ويعملان من بعد الواحدة ظهرًا موعد زيارة الرجال للضريح وحتى موعد إغلاقه، وهما من أسرع النشالين على الإطلاق فهما يقفان على جانبي باب الدخول واللي يفوت يتنشل ولا يستطيع أحد أن يشك فيهما لكثافة لحيتهما والزبيبة المركبة على جبينهما ويتعالى صوتهما بكلمات روحانية على فترات متقطعة فيظن القاصدون زيارة الضريح أنهما من أتباع سيدي الصرماتي حيث يتولون أيضًا تنظيم الدخول واللي يفلت منهم ينتظرانه عندما يخرج، يعني ما فيش فايدة الداخل منشول والخارج منشول، أما القلة الباقية من زوار المولد والذين كانوا حريصين ومأمنين أنفسهم من السرقة ومتعلم عليهم بمعنى أن الكل فشل في نشلهم حيث يضعون الفلوس داخل حزام يربط تحت الجلابية وهؤلاء يتم متابعتهم بالتسليم من نقطة لأخرى لحين وصولهم للمراحيض العمومية فيتولاهم أبو سريع النتن وصبيانه فعندما يدخل الضحية لقضاء حاجته يستقبلونه بالمطاوي ويقلبونه فيخرج شارد الذهن من هول الصدمة يمشي كالمساطيل مترنحًا لا يعرف من أين أتى وإلى أين يذهب.

هكذا هو الحال في ليلة مولد سيدي الصرماتي حتى طلوع الفجر فينفض المولد ويبدأ الجميع في مغادرة المكان؛ عربيات الكارو تحمل المتاع وتجر المراجيح، والسيارات النقل تحمل

السرادقات والميكروباصات التي لا حصر لها تحمل هذا الكم من البشر عائدة بهم من حيث جاءوا، وما أن تشرق الشمس يصبح المكان خاليًا من البشر ولا تجد سوى القطط والكلاب الضالة تعبث في أكوام الزبالة المتناثرة في كافة أرجاء المكان الذي يحيط به السكون بعدما كان صاخبًا.. ولكن صوت عم شعبان الورداني يقتحم هذا السكون من أمام ورشة النجارة الصغيرة التي يمتلكها، فقد وقف يصرخ في وجه الشيخ طحاوي شيخ الطريقة ومن معه من أتباعه وهم يقومون بفك مقام سيدي الصرماتي وتحميله على سيارة نقل كبيرة معاتبًا إياه على قطع عيشه طوال أسبوع مضى بسبب هذا المولد ويطلب منه أن يبحث عن مكان آخر ينصب فيه المقام، ولكن الشيخ طحاوي يصمم على عدم البحث عن مكان آخر متعللاً بأن سيدي الصرماتي كان متواجدًا في هذا المكان منذ زمن بعيد، فيستشيط عمِ شعبان غيظًا ويضرب كفًا بكف، فهو يعلم أن حسنين الصرماتي كان يعمل في تصليح الأحذية في نفس الدكان ولم يراه يومًا يصلي، بل كان جميع حرامية الجزم من الجوامع يوردونها إليه ويقوم بإصلاحها وصبغها بلون آخر ويلمعها ثم يبيعها على أنها جزم مستعملة "وارد بلاد برة"، وعندما مات دُفن في قريته، ونسوان الحي عملوه بقدرة قادر من أولياء الله الصالحين، وأن طحاوي كان بالسجن بتهمة النصب وقتما مات حسنين الصرماتي وعندما خرج من السجن عرف الحكاية من

زوجته حسنية بيبى ودرس وذاكر الموضوع جيدًا... وأصبح مولد سيدي الصرماتي من الموالد المشهورة في بر مصر... وبركاتك يا سيدي الصرماتي!.





ميدان العتبة على غير عادته.. فمنذ الصباح الباكر أُغلق تمامًا وسُدت جميع مداخله ومخارجه، جنود الأمن المركزي تحيطه من كل جوانبه، ورجال الأمن العام منتشرين في كل شبر من الميدان، قوات المهام الخاصة في أماكن متفرقة؛ فوق أسطح المباني التي تطل على الميدان، مجموعة من الكلاب البوليسية ترابط في عدة أماكن مختلفة من الميدان، عربتا إسعاف تأخذان أماكنهما.. الميدان أصبح ثكنة عسكرية، لا أحد يستطيع اختراقه ولك أن تراهن حتى على النملة، عمال النظافة يعملون بكل جهد ونشاط، تأتي سيارات محملة بأنواع مختلفة من الزهور تُوضع على جانبي الميدان وعلى الأرصفة، وكل زهرية قبل وضعها تخضع للمجسات الكاشفة عن المتفجرات، الميدان ينصع من شدة نظافته، الرُتب العالية من رجالات الشرطة يطمئنون على كل صغيرة وكبيرة، لا يُسمح لأحد من رجال الشرطة بالتحدث مع أي شخص أيًا كان.. حاول بعض الصحفيين الذين شموا الخبر فجاءوا مسرعين لمعرفة أي خبر أو التقاط صورة؛ فتم

منعهم والتنبيه عليهم بمغادرة المكان وإلا قد يحدث ما لا يُحمد عقباه.. الحيرة هيمنت على كل من يأتي حتى الميدان ثم يعود، لا أحد يعلم أي شيء.

بعض أصحاب المحلات التي تم إصدار أوامر بغلقها يضربون أخماسًا في أسداس، كلٌ يخمن على هواه.. فالحاج زغلول صاحب محل خردوات تمخض وقال:

- الزيارة دي أكيد علشان يشوفوا إيه اللي تم في بناء المسرح القومي بعد ما اتحرق.

ولكن خليل صبي المحل بادرة قائلاً:

- مش معقولة يا حاج تكون كل التشريفة دي علشان المرسح.

أما المعلم فتوح صاحب مقهى "على مزاجك" ابتسم قائلاً:

- يا إخوانا الموضوع باين زي الشمس ومش عايز فكاكة، كل الهلمة اللي انتم شايفينها دي علشان الانتخابات، ها يعملوا قعدة وكل واحد يتكلم عن نفسه شوية، وساعتين زمن وينفض المولد.

فقال أحد زبائن القهوة:

- هو ده الكلام، الله ينور عليك يا معلم فتوح راجل مخك متنور صحيح.

ولكن تلاحظ أن هناك مبنى يأخذ اهتمامًا خاصًا من النظافة وكمية الزهور التي تحيط به، كما أن هناك حراسة مكثفة عليه،

كما وُضعت على جانبي مدخله قطع من قِماش السرادق الملونة الفضفاضة ويقف أمامه مجموعة من رجالات الشرطة يمنعون الدخول والخروج.

إذن السر في هذا المبنى، وهذا ما جعل خليل صبي الحاج زغلول يقول:

- مش قلتلك يا حاج لا مرسح ولا يحزنون، قولت إيه ؟.

- والله دماغي مششت ومش عارف حاجة... أي حاجة تتعمل ونخلص خلينا نشوف أكل عيشنا ده إحنا ها نخش على تلات ساعات واقفين ومش عارفين حاجة.

سرح خليل صبي الحاج زغلول قليلاً ثم قال:

- يكونش يا حاج بيجهزوا المكان علشان يطيروا رقبة العيال إياهم اللي اغتصبوا الوليه عمنول، زي السعودية ما هي بتعدم اللي بيعمل حاجة زي كده.

اندهش الحاج من كلام صبيه وقال له:

- يا واد يا غبي هما اللي ها يطيروا دماغه يزوقوا المكان علشانه ؟!.

إلا أن المعلم فتوح كان مصمم على رأيه وقال:

- أنا مصمم أن دي قعدة انتخابات وموضوع البيت اللي عاملين عليه دوشة ده مكان علشان يتجمعوا فيه وينزلوا سوا على القعدة طوالي.

الوقت يمر، والأمن يمنع أي شخص من الاقتراب، الساعة تقترب من الثانية عشرة ظهرًا، الحالة كما هي، الوجوم على وجوه البشر المتكدسين خلف المتاريس الحديدية الذين أخذوا يترقبون ماذا سيحدث في هذا المكان...

فجأة... حركة رجالات الشرطة تزداد، كلٌ يراجع الحالة الأمنية مع مجموعته، تكاد لا ترى وجوههم؛ فأجهزة اللاسلكي تغطيها، الحركة تزداد والإشارات مختلفة، صوت سارينة موتوسيكل يصل وسط الميدان، وبعده بدقيقة تقريبًا يصل الركب يتقدمه أربعة موتوسيكلات؛ اثنين يمينًا ومثلهما جهة اليسار، ثم يلي ذلك سيارتان جيب سوداوان اللون بداخلهما رجال يحملون الأسلحة، ثم بعد ذلك تصل سيارة فاخرة سوداء زجاجها غامق اللون لا تستطيع أن ترى من بداخلها وخلفها عدد لا بأس به من أنواع السيارات المختلفة، وأخيرًا سيارة إسعاف.

السيارة الفاخرة تجنح ناحية المبنى وينزل منها أحد الأشخاص ويحيط به عدة صفوف أمنية متوالية تجعلك لا تستطيع أن تتعرف على هذه الشخصية، يدخل المبنى وسط هذا الحشد من الحراسة.

يصيح خليل صبي الحاج زغلول:

- الحق يا حاج دول داخلين البيت المهجور.

- يمكن ده صاحب البيت وخد حكم بتمكينه من البيت.

المعلم فتوح وهو يمص شفتيه:

- الهلمة دي كلتها علشان يتمكن من البيت... ليه هو البيت الأبيض؟!!... لا لا مش مش داخل في نافوخي كلامك يا حاج زغلول... القصة غير كده خالص.

أحد أصحاب المحلات:

- أنا متهيألي إن البيت ده أثري والشخص اللي جه ده خواجة من بتوع الآثار جاي يتأكد بنفسه علشان ها يصرفوا عليه، أصل الناس دول يحبوا يتأكدوا بنفسهم قبل ما يدفعوا "دورار" واحد.

خليل صبي الحاج زغلول وهو يشوح بيده:

- أثرى إيه يابا! ده البيت ده طول عمره بينام فيه نشالين الميدان واللى بيتعاطوا المخدرات، وأستغفرك يا ربي البت عزيزة الحُولة كانت بتشوف حالها جواه.

فجأة يخترق المتاريس أحد الأشخاص كثيف الشعر رث الملابس ممسكًا بزجاجة، وأخذ يجري هنا وهناك، أصحاب المحلات التي في الميدان يصيحون عليه بصوتٍ عالٍ: " ارجع يا عم حونه.. ارجع يا عم حونه"، الكلاب تلاحقه أينما يذهب حتى أحاطت به، الكل يزعق: "أوعوا تعملوا فيه حاجه ده راجل طيب وعبيط".

لقد قُضي الأمر، وذهبت تداءاتهم أدراج الرياح فلم تمر لحظات حتى انفتحت عليه أبواب جهنم، فقد جاءته طلقات الرصاص من

كل جوانب الميدان ومن أسطح المباني التي تطل على الميدان بواسطة رجال المهام الخاصة، تطايرت أشلاؤه وتناثرت وسط الميدان، ساح دمه القتيل وسط الميدان، فوارغ الرصاص غطت معظم الميدان... خرج الشخص المجهول من المنزل مسرعًا وبحراسة أمنية أكثر تشددًا واستقل سيارته، وبدأ الموكب يغادر المكان بصورة سريعة.

لا زال الميدان محاصرًا، مجموعة من كاشفي المتفجرات يقتربون رويدًا رويدًا من الزجاجة التي كان يمسكها القتيل، الزجاجة بها سائل أبيض اللون، أحدهم أمسك بها وتحسسها بحرص شديد، فتحها ثم أغلقها ووضعها داخل كيس سميك وانصرفوا.

صدرت الأوامر لعمال النظافة بلم أشلاء القتيل ووضعها في الأكياس البلاستيكية السوداء، وما أن انتهوا حتى جاءت إحدى سيارات الإسعاف ووضعوه بداخلها.

الحاج زغلول والمعلم فتوح يعتصرهما الألم من هول ما رأوه.. كل أصحاب المحلات يبكون على عم حونه، الحاج زغلول يبكي بحرقة، المعلم فتوح يطيب من خاطره:

ـ الله يرحمه مكتوب له يموت الموتة دي، بس اللي مزعلني إن ما حدش سمع كلام كل الناس اللي كانت بتزعق وتقول سيبوه.

- مين ها يسمع مين يا معلم فتوح، كان كفاية عليه طلقة واحدة ولا حتى خمسة، هو جسمه يستحمل الرش ده كله ومن كل مكان، شوف بعينك كام زكيبة اتملت فوارغ الرصاص ده يجي عشرة ولا أكتر، مامنهوش فايدة الكلام.

أحد أصحاب المحلات وهو يضرب كفًا بكف:

- الله يرحمك يا عم حونه بس الحقيقة بتوع الأمن معذورين برضه يا حاج زغلول، واحد بيجري في منطقة ملغمة ودقنه كبيرة وماسك إزازة في إيده ما يعرفوش فيها إيه؟ فكرهم يروح على طول إنه إرهابي وجاي يفرقع قنبلة، ولا أنت مش معايا يا معلم فتوح؟!.

- ما أنت عارف الإزازة اللي معاه دي فيها إيه، شوية السوبيا اللي بيشربهم، هو بيشرب ولا بياكل حاجه غيرها، الكلام مش ها يودى ولا يجيب، الراجل مات وشبع موت.

خليل صبي الحاج زغلول وهو يتنهد ويمسح دموعه:

- قولى يا حاج ده ها يندفن إزاي؟، دا مالوش أهل يستلموه.

- العلم علم الله، ويا ريت يسلموه لينا وإحنا ندفنه.

تدخل في الحديث سعيد كاتب المحامي:

- بصفتي ضليع في كواليس التحقيقات، كلنا شايفين عم حونه بالشكل ده؛ راجل على باب الله ومخبول، الحكومة مش بتشوفه زينا، يعني لازم القضية تتقفل صح، أولاً ها يدوروا على أهله

لأنه حتمًا له أهل، ولا إتولد شيطاني؟! ها يجيبوا أهله ولو تحت الأرض وهايحققوا معاهم وسين وجيم لغاية لما يعرفوا حقيقته.

الحاج زغلول ينظر لسعيد كاتب المحامي بعصبيه قائلاً:

- هو مين ده اللي له أهل وها يجيبوهم ويحققوا معاهم، الراجل عدى التمانين سنة، ها يجيبوا أهله منين؟ هو لسه ليه حد عايش يا عم روح شوف لك عرضحال تكتبه ولا شكوى تخرب بيها بيت حد.

سعيد كاتب المحامي وهو يبتسم بسخرية:

- الأيام بيننا، وبكرة تقول كلامك صح يا أستاذ سعيد.. لو ما طلعش حونه الفُنني ده من تنظيم القاعدة بس متخفي وهو اللي بينقل كل الأخبار ليهم.

الحاج زغلول ممسكًا بذراع سعيد كاتب المحامي:

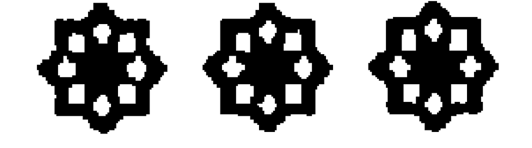
- بقول لك امشي وروح اتكلم مع حد مجنون يصدقك، ضليع إيه ونيلة إيه ؟عم حونه الفُنني موجود في الميدان فوق عن الستين سنة، أنا شفته لما كنت بآجي مع أبويا الله يرحمه المحل، وكل الناس اللي شغالة هنا في الميدان عارفة إنه مالوش أي أهل، ونومته ما أتغيرتش من زمن في الحارة اللي ورانا، وطول عمر الناس بتناديه "حونه الفُنني" أبويا الله يرحمه قالي إنه كان بيتكلم ببس لسانه تقيل وأخنف، وإن اسمه حوده، ولما حد كان بيسأله اسمك إيه يقول حونه، والمعلم زهران الله يرحمه هو.

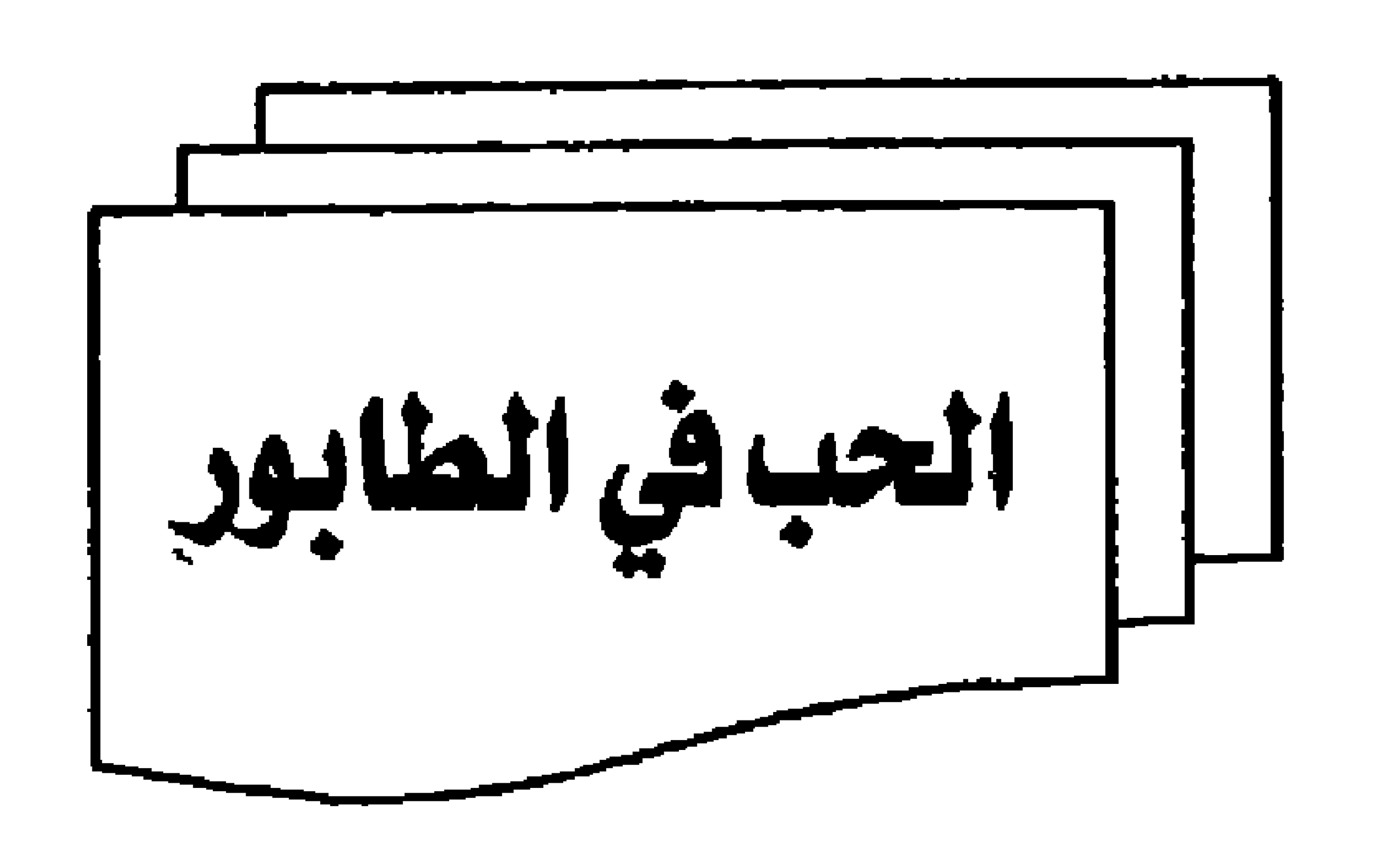
اللي سماه الفُللي علشان كان بيصطبح بوشه كل يوم وبتكون إصطباحته فُللي يعني حلوة، وطول اليوم قاعد جنب المحل ما بيحبهوش يروح بعيد عنه يعني بيتفاءل بيه ودايمًا كان يحب يضحك معاه ويقوله اسمك إيه ؟ يرد ويقول: "حونه الفُنّنى".

غادرت جيوش الشرطة المكان وعاد الميدان كما كان، ولا حديث للناس إلا عن مقتل حونه الفنني، لكنهم في نفس الوقت يريدون أن يعرفوا لماذا كانت كل هذه الاستعدادات في الميدان والكم الهائل من قوات الشرطة، ومن هو هذا الشخص المهم والصلة بينه وبين المبنى الذي دخل فيه، لا أحد يعرف فالمبنى أصلاً مغلق منذ سنوات طوال، ولا يسكن به أحد، ولم يفتح وينظف إلا عند قدوم هذا الشخص المهم...

ولكن سرعان ما انكشحت حيرة الجميع عندما أذاعت الخبر إذاعة إسرائيل الناطقة باللغة العربية وأوجزته بأن قوات الأمن المصرية أحبطت محاولة لاغتيال رئيس الوزراء أثناء زيارته للقاهرة، وكان من ترتيبات الزيارة أن يقوم سيادته بزيارة منزل جدته التي كانت تقطن فيه قبل هجرتها لدولة إسرائيل حسبما جاء بوصيتها له قبل وفاتها.

شالوم!





جاء كعادته مبكرًا ليلحق بمكان متقدم في طابور صرف المعاشات بالبنك، وهو اليوم الذي يعتبره الأستاذ جلال السرساوي وكيل وزارة سابق بإحدى الجهات الحكومية من أصعب الأيام ويحسب له ألف حساب لشدة الزحام وتخوفه من حدوث مكروه له؛ حيث يعاني من روماتيزم بالمفاصل، مما جعله حريص كل الحرص في تحركاته ومستخدمًا عصا من الأبنوس الأسود المطعمة بالفضة، وعلاوة على ذلك فهو يحمل معه كرسيًا صغير الحجم كالذى يُستخدم على الشواطىء يجلس عليه حتى يحل عليه الدور في الصرف. وبالرغم من تجاوزه السبعين من العمر فهو متزن يتكلم بهدوء، أنيق الملبس، ومازالت الصبغة الوظيفية علامة واضحة في تصرفاته مع موظفي البنك، فعندما يقف أمام الشباك تراه يخلع نظارة السير ويرتدي نظارة القراءة ثم يستخرج القلم ويتأنى في قراءة كشف الصرف مما يجعل الموظف الذي أمامه ينفر منه، ولكنه سرعان ما يعتذر له بحجة أن من حقه أن يعرف ما سوف يوقع عليه.

وما أن جاءت الساعة التاسعة حتى دارت حركة الصرف من خلال طابورين أحدهما للرجال والآخر للسيدات وهو الأكثر عددًا، إلا أن حركة الصرف كانت بطيئة جدًا هذا اليوم نظرًا لغياب الموظف المختص وحلت محله موظفة أخرى ليست لديها الخبرة الكافية، وقد لاحظ الأستاذ جلال أن السيدة التي تجاوره في طابور السيدات ظهر عليها الإعياء وبدأت تترنح فقام بسرعة من على كرسيه وأجلسها ثم ناولها قطعة من الشيكولاته التي يحملها دائمًا معه وما أن أطمئن عليها طلب من الواقفات أن يسمحن لها أن تتقدم في أول الطابور نظرًا لحالتها، وعارض بعضهن بحجة أن منهن من هنَّ أشد مرضًا منها، وبعد مفاوضات صرفت معاشها ولكن حالتها لا زالت غير مستقرة وتبدو عليها علامات شدة المرض فأسندها الأستاذ جلال حتى الباب الخارجي وأجلسها على الكرسي ونادى على تاكسي كان واقفًا بالخارج وطلب منه توصيلها.. ثم عاد للطابور وصرف وانصرف لمنزله.

يعيش وحيدًا منذ زواج ابنتيه ووفاة زوجتة منذ خمس سنوات ورفض كل محاولات بناته ليعيش مع إحداهن واكتفى بقيامهن بإحضار الطعام له وغسل وكي ملابسه علاوة على متابعة تنظيف المنزل أسبوعيًا، فهو يفضل أن يمكث بالمنزل، وخروجه فقط لتأدية فروض الصلاة بالمسجد الذي لايبعد سوى خطوات قليلة من منزله، أو في يوم صرف المعاش، ونادرًا جدًا

ما يستقبل أحدًا من أقاربه، أما صديقه الوحيد فهو التلفزيون من خلال القنوات الفضائية التي يسهر معها متنقلاً من قمرٍ لآخر.

مرت الأيام ولم تفارق خاطره ولا يعلم سببًا لذلك، إلى أن جاء موعد ذهابه الى البنك في الشهر التالي، وأخذ يتلفت عليها في طابور السيدات فلم يجدها، فأيقن أنها لا زالت مريضة.. انتهى من صرف معاشه وسار بالطرقة الطويلة متوجهًا لباب الخروج فوجدها تنزل من تاكسي كانت تستقله فتسمرت قدماه، ونظر إليها ونظرت إليه، فأحس بضربات قلبه وكأنها طبول تدق لم يشعر بمثلها منذ زمن ولى، فأخرج المنديل وأخذ يجفف عرقه.. اقترب منها وأشار بيده لها على الكرسي الذي يحمله؛ فربما قد تحتاجه؛ إلا أنها هزت رأسها بالرفض ودون أن تتفوه بكلمة.. مشى متجهًا للخارج تحدثه نفسه بأن يعود ويسألها عن صحتها ولكنه تخوف بأن تحرجه، ووقف أمام الباب والتفت ناحيتها ودار بنظره في أرجاء المكان حتى لا تشعر بأنه ينظر إليها ولكن نظره توقف رغمًا عنه عليها، فوجدها تنظر إليه وعلى شفتيها ابتسامة دافئة رقيقة، فتوتر وارتعشت يداه وكادت أن تسقط منه عصاه، وغادر مسرعًا للخارج ولم يشعر بزوج ابنته الذي ينتظره وهو ينادي عليه من داخل السيارة.

على غير المتوقع طلب من زوج ابنته أن يوصله للنادي، وأهتدى لمكان هادئ وجلس شارد الذهن سارحًا فقد تملكت هذه

السيدة منه وأصبحت صورتها لا تفارقه وتساءل في نفسه ماذا لو طلب منها الزواج؟ وكيف سيكون رد فعلها؟ ولو وافقت فكيف يتحدث مع ابنتيه في هذا الموضوع ورد فعل زوجيهما؟ ولو تجاهل كل هؤلاء -وهو حر فيما يفعله- فهل عنده المقدرة على الزواج في مثل هذا السن؟ وأخذ يتذكر جده الذي عاصره وكان يقاربه سنًا وتزوج فتاة في عمر أحفاده ولكنه كان في عنفوان الشباب، وتذكر كيف كان جده يأكل وكيف كان يسير لمسافات طويلة دون إرهاق أو تعب.. وراح يسترجع شكلها، إنها ليست بصغيرة، المهم أنها ستكون بجانبه تؤنس وحدته ومن السهل إحضار خادمة للمنزل، وما العمل إذا كانت تعاني من مرض قاس؟ ولكنه شاهدها اليوم بصحة تبدو جيدة، ربما ما حدث لها كانت وعكة صحية طارئة.

قرَّر أن يعرض عليها الزواج في المرة القادمة، ولكن كيف يفاتحها في الموضوع وما هو الطريق إلى ذلك؟ هل ينتظرها بالخارج ويتحدث معها؟ وما موقف زوج ابنته الذي يقف بسيارته؟ أهتدى بفكرة بأن يقول له عندما يوصله صباحًا للبنك بألا يحضر لأنه سيذهب لصديق قديم اشتاق لرؤيته ويسكن بالقرب من البنك ويفضل أن يمشي وسيعود للمنزل بالتاكسي.. ولكن أين يجلس معها لو وافقت؟ بالطبع ليس في النادي فقد يشاهده أحد ممن يعرفه، وفكَّر في مكان قريب من البنك يراه

دائمًا، ولكن رواده من الشباب وكله ضوضاء وقد ينظرون إليهما ويتهامسون، وسيسبب ذلك إحراجًا لها.. إذن فأنسب مكان آمن هو البنك بأن يجلسا على مقاعد الانتظار الموجودة في الطرقة الجانبية.. ولكن ماذا لو رفضت أن تتحدث معه من البداية؟ لا لن ترفض، فنظرتها وابتسامتها اليوم دليل على أنها أحست بما في قلبه، كما أنها لو رفضت لن تحرجه فهي سيدة محترمة.

قطع عليه زوج ابنته خلوته فقد عاد في الموعد المحدد وغادرا النادي وتوجه لمنزله ووقف في منتصف صالة الاستقبال وأخذ يدقق في الحوائط والسفرة والأنتريه، ثم فتح غرفة النوم وتفحصها بنظرة شاملة وتوجه إلى المطبخ والحمام ثم باقي الغرف، وعاد وجلس فقد لاحظ أن الحوائط تحتاج لدهان من جديد أما باقي الأثاث فهو بحالة جيدة، ولكن هل يغير حجرة النوم إن طلبت هي ذلك؟ ولكنها ليست بقديمة وحالتها ممتازة فقد اشتراها منذ فترة ليست طويلة، وإن تمسكت فسوف يبيعها ويشتري أخرى جديدة.. نظر الى صورة زوجته المعلقة على الحائط وهز رأسه فهي حتمًا ستطلب منه أن ينزعها؛ وهذا حقها؛ فغيرة المرأة يجب أن تُحترم، ولكن لا لن أوافقها على هذا الطلب، ولكن سأترك هذا الموضوع للظروف فقد لا تلتفت لهذا الموضوع أصلاً.

أمسك التليفون وتحدث مع الدكتور الذي يعالجه يطلب منه تحديد موعد لإعادة جلسات العلاج الطبيعي، وما إن انتهى حتى رنَّ التليفون، وكانت ابنته الكبرى التي عرفت من زوجها أن والدها كان بالنادي اليوم فاندهشت وقررت أن تتحدث معه لتتحرى أمره فقد يكون هناك شيء ما يضايقه، وطلبت منه أن يمكث عندها للفترة التي يريدها لأنها تشعر بالقلق من وحدته، ولكنه طمأنها وطلب منها أن تحضر هي وأختها لمقابلته بالنادي يوم الجمعة المقبل في الرابعة عصرًا ليتحدث معهما في أمر هام، استغربت؛ فهذه هي المرة الأولى التي يطلب فيها أن يقابلهما بالنادي، وشدد بألا يحضر معهما أحد من زوجيهما.

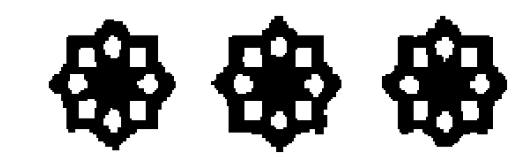
وجاء يوم الجمعة، وتقابل هو وابنتيه، وبدون مقدمات عرض عليهما أمر رغبته في الزواج، فنظرت كلٌ للأخرى باندهاش وتعلثما في الكلام، وبكت ابنته الصغرى وسألته عما إذا كان هناك تقصير منهما في خدمته، وكم من مرة عرضتا عليه أن يقيم مع إحداهما، إلا أنه انفعل قائلاً: هذا قراري ولن أتراجع عنه، فاعترضتا على ذلك وتركتا المكان وهما في ضيقة شديدة، بينما ظلَّ هو جالسًا في مكانه، ونادى على الجرسون وطلب فنجان من القهوة.

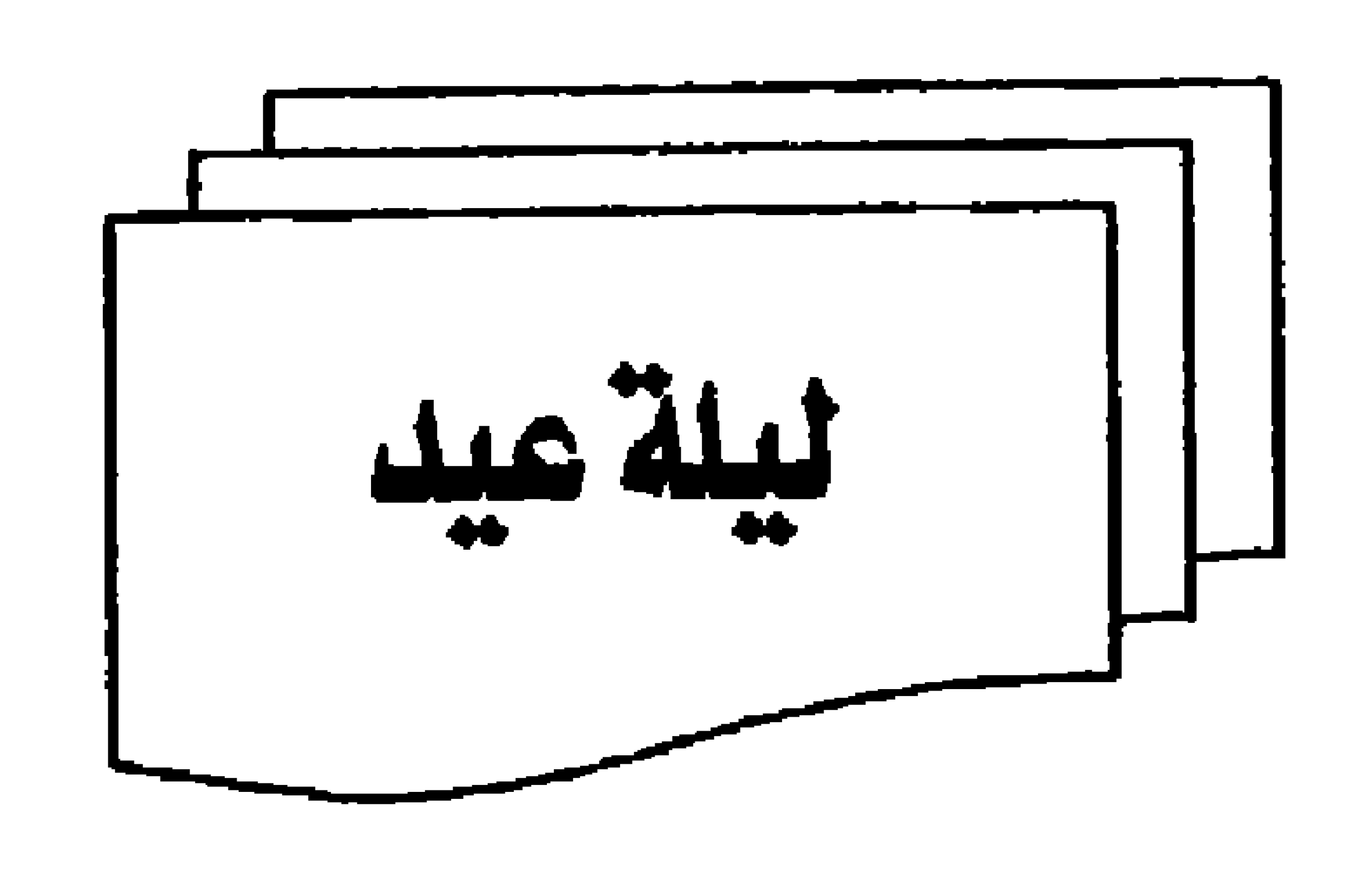
عاد لمنزله متخذًا قرار أمر زواجه، وانتظر أن تمر الأيام بسرعتها المعهودة ليقابلها في الشهر القادم، إلا أن الأيام أبت

أن تسرع فكانت تمر ببطء شديد، مما جعله يشعر بقلق وحيرة شديدين، وظل هكذا.. وأخيرًا، لم يتبقَ سوى ثلاثة أيام على موعد اللقاء، اتجه إلى دولاب ملابسه،وقف حائرًا يتفحص البدل المعلقة ليختار إحداها، وقع اختياره على الرمادية اللون المقلمة بخطوط خفيفة، وها هي الكرافتة التي تتناسب معها وهذا هو القميص الأبيض، نظر في المرآة فوجد أن شعره طويل بعض الشيء فقرر أن يذهب مساءً للحلاق ثم يبتاع زجاجة برفان حيث أن الزجاجة الموجودة قاربت على الانتهاء.

جرس الباب يرن رنات مستمرة مما أزعجه فاستشاط غيظًا وقرر أن يوبخ من فعل ذلك، اتجه ناحية الباب كاتمًا غيظه متربصًا بالواقف خلفه، فتح الباب فإذا بشخص غريب يسأله عن اسمه وعندما تأكد بأنه هو، ناوله ورقة وطلب منه أن يوقع له بالاستلام وانصرف، أغلق الباب واتجه إلى كرسيه، ارتدى نظارته الطبية قرأ الورقة...

كانت إعلان من المحكمة بميعاد جلسة للقضية المرفوعة من ابنتيه بالحجر عليه.





ليلة عيد

قاربت الساعة على الرابعة عصرًا وصوت تامر يهز جدران شقته، يصرخ في وجه زوجته منال يطالبها بسرعة الانتهاء من ارتداء ملابسها حتى يلحق بموعد الإفطار مع والده ووالدته، فقد تعود أن يقضي أخر يوم في شهر رمضان وكذلك أول أيام عيد الفطر هو وأشقاءه، في شقة العائلة بالمطرية..

أخيرًا، قالت منال:

ـ خلاص، مش كنت بأجهز لبس العيال.

ـ إنتي كده عيد ولا غير عيد دايمًا متأخرة، ومن أول ما خطبتك وإنتي مواعيدك زفت.

تضايقت منال من كلام تامر فنظرت إليه وقالت:

ـ كمل الموشح وقول كمان، ده حتى يوم الفرح خلصتي من عند الكوافير بعد ما المعازيم زهقوا وافتكروا أن الجوازة باظت، يعني لازم كل ليلة عيد نروح المطرية، إحنا مش كنا هناك أول يوم رمضان وقلتلي عادة ما تنقطعش، ونص رمضان وقلتلي أصل عمتي جت من البلد ونفسها تشوف العيال، ياراجل نفسي

أقضي ليلة العيد معاك في البيت زي كل البشر، أمال كان لازمته إيه قميص النوم الجديد اللي اشتريته أول أمبارح وقلتلي يجنن عليكي يا منول بس رمضان يخلص ويكون ليا كلام تاني.

- يا مدام الواحد طالع من صيام ومهدود حيلة، يعني لا قميص نوم ولا غيره ها ينفع، وشهلي نفسك خلينا نمشي.

وقف تامر أمام باب الشقة ليغلقه، فقالت له منال:

- تممت على أنبوبة البوتاجاز والسخان.

- أيوه اتنيلت وتممت.

أدار تامر محرك سيارته، وهمَّ ليتحرك، فقالت له منال:

- يا خبر، نسينا البلكونة مفتوحة.

- نسينا! وأنا مالي، مش إنتي اللي كنتي بتلمي الغسيل.

- معلهش نسيت، ها أطلع أقفلها.

مرَّت عشر دقائق ولم تنزل منال من العمارة، علامات الغضب ظهرت على وجه تامر، أخرج تليفونه المحمول، طلبها، رنَّ تليفونها بجانبه بداخل شنطة يدها فاستشاط غيظًا، غادر السيارة ووقف للحظات ينظر لباب العمارة.. مرَّت خمس دقائق أخرى ظن أن في الأمر شيء وقد حدث مكروه لزوجته، أغلق أبواب السيارة ونبَّه على أولاده بعدم فتح الأبواب، صعد سلالم العمارة مسرعًا والعرق يتصبب منه، وما أن وصل للدور الرابع وجدها تقف مع إحدى جارتها تحكي معها، وما أن رآها صرخ في وجهها قائلاً:

- إنتي إيه ما عندكيش مخ؟.. سيباني ملطوع تحت ونازلة رغي مع الجيران.

- معلهش أصلها كانت بتسألني على طريقة عمل البيتي فور.

- بسرعة من فضلك خلينا نتتيل نمشي، الساعة بقت خمسة وإحنا لسه ما اتحركناش من فيصل.

أدار تامر محرك السيارة وأخذ يضرب بكلتا يديه على عجلة القيادة من شدة الغيظ ،وما إن جنح في الشارع التالي نادت صغيرته على أمها تريد أن تتبول، وما أن سمع ذلك تامر، إلا وداس على فرامل السيارة بصورة عنيفة، وقال لزوجته:

- هي مش لابسة بامبرز؟.

- لأ.

- هو إيه اللي لأ؟.

- أصل بأعودها من النهارده تقول بيبيه.

- بيبيه... والعمل إيه دلوقتي يا فتكة؟

- مش عارفة أتصرف إزاي.

- انزلي اشتري بامبرز بسرعة من الصيدلية اللي قصادك دي.

عادت منال ومعها كيس بامبرز، وما أن فتحت باب السيارة الخلفي قال لها تامر:

- فات الميعاد عملتها وبللت هدومها... بسرعة غيري لها بدل ما تاخد برد وتعكنن علينا.

- انزل أفتح شنطة العربية وهات غيار.

همَّ تامر ليفتح شنطة العربية، فجاءت سيارة مسرعة وداست بعجلاتها في مياه المجاري التي تملأ الشارع، وتبلل تامر تمامًا، كتم غيظه وفتح شنطة السيارة وأخرج ملابس لصغيرته وناولها لزوجته، وأخذ يجفف وجهه ويديه، وبقدر المستطاع أزال القليل من الأوساخ العالقة بملابسه.

أدار محرك السيارة واتجه إلى شارع صلاح سالم، وأخذ ينظر في ساعته فقد قاربت على الخامسة والنصف.. رنَّ تليفونه المحمول، وكانت والدته:

- ....

- إحنا في الطريق.

- ....

- لا... أصل رجعت من الشغل متأخر شوية، ها تفطرونا إيه؟.

- ....

- أموت أنا في المحشي اللي معمول بصوابع إيديكي يا ست الكل.

- ....

- وكمان ممبار؟، إيه ده كله والنبي إنتي اللي مغذيانا ومربربانا؟.

- ....

- حمامة ونكون عندك بإذن الله.. لا إله إلا الله.

....

نظرت منال لتامر وقالت له:

- ما ماما بتعملك محشي، مش بتموت ليه في صوابع إيديها؟.

- موتة عن موتة تفرق، موتة أمي حنينة وبترد فيا الروح بعد ما بأكل، لكن موتة حماتي طريق واحد ذهاب بلا عودة ههههههه.

- يا راجل نفسي تدلعها زي ما بتدلع أمك وتقول لها كلمتين حلوين من بتوعك اللي شغال بيهم على كل الناس وتيجي عند ماما والبطارية بتاعتك تخلص.

- عايزين نركز في الطريق وربنا يسهل ونوصل بدري.

- إن شاء الله ها نوصل قبل الإفطار، الطريق سالك والحمد لله، بس أنت ما تجريش بسرعة علشان ربنا يسترها معانا، وها تلحق المحشي والممبار سخنين علشان تتخن كمان وكمان، الناس في رمضان بتخس وإنت ما شاء الله بتزيد.

- بطلى نأ عليا، وعلى رأي أمي: التُخن عز.

- وأنا مالي، اتخن كمان وكمان لغاية لما تتنفخ وتبقى مدور، وبدل ما تمشي تدحرج.

لم تمر سوى دقائق معدودة إلا وتوقفت حركة السيارات تمامًا عن السير.. نظر تامر لمنال وهو يهز رأسه بسخرية:

- نئيتي فيها، وتقولي الطريق سالك.

- يا عم هو أنت دايمًا ما عندكش صبر، اصبر تلاقي حد مهم مروح وقفلوا الطريق علشان يعدي.

- كل ده وتقولي ما عنديش صبر، ده أنا ها أغير اسمي لصابر أيوب عبد الصبور.

بدأ قائدو السيارات المتوقفة في إطلاق أبواق سياراتهم لعلها تصل لمن أوقف الطريق، لم تتحرك أي سيارة للأمام ولو سنتيمترات، خرج تامر من السيارة ونظر للأمام وذهب لعدة أمتار، ثم عاد ونظر لزوجته من شباك السيارة قائلاً:

- ده طابور واصل لكوالالمبور، وما فيش حد عارف حاجة.

صاح ابنه على والدته :

- هي فين كررمبور دي يا ماما.

- أسأل بابا هو اللي دايمًا يقولها وفي بقه زي اللبانة، إذا كانت هي ولا كلمة مدغشقر.

نظرت منال لتامر وهي تهز رأسها باستهزاء قائلة:

- رد على ابنك وقول له فين كوالالمبور.

نظر تامر لمنال وقال:

- ما تقولي له... إنتي مش مدرسة مواد اجتماعية.

الوقت يمر والموقف كما هو، المئات من السيارات مازالت متوقفة بلا حركة، بدأ اليأس يدب في نفوس الجميع، الكل يطلق بوق سيارته دون جدوى، الساعة دقت السادسة، ربع ساعة وينطلق مدفع الإفطار، الجميع خرج عن شعوره، لا أحد يعلم السبب، خاصة وأن الطريق المعاكس أيضًا متوقف ولا توجد

معلومات آتية من الأمام... انطلق مدفع الإفطار.. وضرب تامر بيديه على سقف السيارة قائلاً:

ـ يا خسارة مش ها نلحق المحشي وهو سخن.

نظرت إليه منال وهي تضحك قائلة:

ـ دا لو لحقت المحشي أصلاً، إخواتك ها يخلصوا عليه.

أخيرًا وصلت معلومات بأن هناك انهيار أرضي ومن الصعب تحرك أي سيارة والدنيا مقلوبة.

بدأ الجميع في البحث عن أي حاجة يشربونها، وكان من الصعب أن يجدوا شيئًا في هذه المنطقة لكونها مدافن يمينًا ويسارًا، الحالة تبدو سيئة على الجميع، الأطفال يصرخون، وعلا صوت السيدات اللائي يصحبن أزواجهن، بدأت الأعصاب تنفلت من الرجال، كلٌّ ينفس بطريقته، يتصاعد دخان السجائر في السماء وكأنها السحابة السوداء جاءت مبكرًا.

ظهر فجأة بعض الصبية الذين انتشروا بين السيارات الواقفة ولا يعلم أحد من أين أتوا وكأن الأرض انشقت وخرجوا منها، البعض منهم يحمل كميات من العيش والجبن بأنواعه المختلفة، وهناك من يحمل البسكويت والعصائر وجراكن المياه، الجوع والعطش جعل الناس يتزاحمون على هؤلاء الصبية، الكل بدأ في الشراء وبأسعار خيالية استغلالاً للموقف، فرغيف العيش البلدي الزعلان من نفسه والفريد من نوعه سعره خمسون قرشًا

وقطعة الجبنة النستو بدون ماركة بجنيه؛ واللي معروفة ماركتها بجنيه ونصف، أما شريحة الجبنة الرومي بجنيهين، وباكو البسكويت ماركة أي كلام بجنيهين ونصف، الحاجة الوحيدة التي تقدم لك دون سعر محدد هي كوب المياه، عليك أن تشرب وينظر إليك الصبي نظرة استعطاف لتعطي له اللي يطلع من ذمتك، وعندما لاحظ الصبية أن الكثير متعفف من شرب المياه من الجراكن المتسخة وكذلك الأكواب البلاستيكية التي لا تعرف لها لون، ظهرت مجموعة أخرى من الصبية وهم يحملون زجاجات مياه معدنية، ولا مجال للفصال الزجاجة صغيرة الحجم بأربعة جنيهات والغاوي ينقط بطاقيته، واللي يدفع خمسة جنيهات وينتظر الجنيه الباقي يناوله الصبي باكو بسكويت مجهول الهوية.

وهكذا استمر الحال، الجميع ينتظر الفرج للخروج من هذه الأزمة، وعلى العكس هناك من لا يريد الفرج بأي حال من الأحوال، وهم هؤلاء الصبية، وكلما مر الوقت زادت عصبية الجميع، ووصل الأمر بأن يرفع البعض أيديهم للسماء بالدعاء على من وضعهم في هذا الموقف السيئ.

المتابعة مستمرة من أقارب ومعارف أسرى الطريق، فإذا أخذتك رجلاك وتمشيت بين السيارات الواقفة تسمع رنين التليفونات المحمولة، الكل يتكلم وتستطيع أن تستمع لحواراتهم... فهذا يكلم زوجته:

ـ يا ستى اتنيلي وافطري إنتي والعيال وما تستنيش، أنا مش عارف أم الطريق ده ها يمشي إمتى.

ـ ....

ـ كنافة إيه ونيلة إيه اللي ما أنساش أجيبها، أقولك الطريق متنيل واقف تقوليلي أوعى تنسى الكنافة... بأقولك إيه أتمسي وإياكي تتصلي بيا تاني وإلا لما أرجع ها أطربقها فوق دماغك.

وهذا آخر يتصبب منه العرق بغزارة:

ـ دوا السكر والضغط في البيت ومش عارف أعمل إيه يا دكتور، حاسس إن جسمي مخدل وبأترعش.

ـ ....

ـ شربت علبة عصير وكلت رغيف وحتتين جبنه نستو.

ويجانبه شخص آخر من الواضح أنه دكتور :

ـ حاولوا تتصلوا بالدكتور حسين بسرعة.

ـ ....

ـ معقولة! موجود معانا هنا.. طيب شوفوا الدكتور هاني ولا الدكتور مروان بس بسرعة الحالة ما تستحملش تأخير أكتر من كده وإلا المريض هايموت.

أما تامر فقد كان صوته واصل للميتين وكان يتحدث وكأنه يبكي:

ـ يا أمي أنا والعيال في حالة سيئة ومش عارف أعمل إيه؟.

- ....

- أسيب العربية طيب وبعدين هو في طريق الواحد يقدر يمشي منه، بأقولك إحنا في مدافن، يعني مع الميتين.

- ....

- لأ ما ينفعش غير طيارة هليكوبتر تيجي تشيلنا لفوق وترمينا بعيد عن المكان.

- ....

- ربنا يسهل... هو أنا لوحدي ده إحنا ما تعديش قولي تلاتين أربعين ألف.

- ....

- لما آجي تبقي تسخني المحشي والممبار، ولو إني زي ما أنتي عارفة بأحب الأكل بنار الحلة.

هرج ومرج في المكان، سيدة عجوز تصارع الموت البعض يحاول إسعافها وبجانبها ابنتها تبكي وتصرخ، أخيرًا حضر أحد الأطباء وكانت سيارته قريبه من المكان، تفحص السيدة بسرعة وطلب من ابنتها سرعة نقلها لأقرب مستشفى، ويا حبذا لو كانت المستشفى التي يعمل بها.

تطوع أحد الموجودين في المكان وطلب الإسعاف:

- ألو الإسعاف.

- ....

- في حالة صعبة وعايزين سيارة إسعاف تنقلها لأقرب مستشفى.

- ....

- العنوان، بصراحة مش عارف بالضبط، لكن إحنا في شارع صلاح سالم وعلى يمينا وشمالنا مدافن مش عارف اسمها.

- ....

- أيوه سيادتك تمام، أنت عرفت منين؟! هو في حد كلمك قبلي؟!

- ....

- فوق المائة حالة في المكان ده! ومش عارفين تعملوا إيه وتيجوا إزاي! والحل إيه؟... ألو الو ألو.

- تيت تيت تيت.

الحالة تزداد سوءًا، السيدة العجوز راحت في غيبوبة، ابنتها تطلب الإسعاف : "تيت تيت، جميع الخطوط مشغولة حاول الاتصال في وقت لاحق".

وهذا أحد الأشخاص يمسك تليفونه ويبعد عن سيارته التي تجلس فيها زوجته:

- أيوه يا حبيبتي.

- ....

- الطريق مقفول ومزنقوين زنقة الكلب من قبل الإفطار، ده حتى فطرت في الشارع.

- ....

- والله العظيم بأتكلم بجد وأنتي عارفة إني ما بأكدبش.

- ....

- يا حبيبة قلبي أطنشك إزاي هو إنتي مش مراتي برضه وحبيبة قلبي الوحيدة، ده كلام يا سونسن.

- ....

- لأ... ها أوصلها عند أمها وها تلاقيني قدامك على طول، والليلة عيد يا جميل، بأقولك إيه الأمانة وصلت اللي بعتهالك مع الواد عبده، ده سمك بقلاه وارد الخارج ما بيكلهوش إلا الناس الهاي لايف.

أما هذا الشخص فكان يضحك بصوت عال وهو يتكلم:

- ها تقفل الصيدلية.

- ....

- يا عم خليهالك الفياجرا... هو باين عليا ها أقضي ليلة عيد السنة دي.

- ....

- لسه ما روحتش... هو في طريق علشان نمشي فيه، الطريق مقفول من قبل الفطار ده مولد وصاحبه غايب، كل مصر موجودة في طريق صلاح سالم.

- ... لا توكل أنت على الله ويا بختك يا عم بيتك فوق الصيدلية لا زحمة ولا يحزنون، ليلتك فللي... بأقول لك إيه، خد شريط معاك ها أبقى أعدي عليك لما أرجع.

- ...

- مسافر! خلاص سيب الشريط مع عم حسين البواب بس أوعى تقول له ده شريط إيه لو سألك، ده ما بيعتقش... فاكر أكياس الفوار اللي سبتهالي... عملها عصير وحط عليها تلج وهات يا شرب... بأقول لك إيه، حط الشريط في كيس نايلون ولفه في جورنال، ولو سألك قول له ده سم فيران.

أحد الجالسين في سيارته يفتح الباب بعصبية شديدة ويتجه ناحية عربجي العربية الكارو الواقفة بين السيارات موبخًا إياه:

- ده كلام... تسيب الحصان يوسخ الدنيا بالقرف ده ومايحللوش يعملها إلا جنب عربيتي... شيل القرف ده.

- أشيل إيه؟ وأحطه فين؟ ما طول عمر عنتر بيعملها في الشارع وما فيش حد قالي شيل القرف ده... والنبي تشوف لك حد تاني تتنرفز عليه، الحكاية مش ناقصاك.

- خلاص خد عربيتك وامشي قدام شوية حصانك جايب علينا الدبان ومش بعيد يعملها تانى.

- تعالى وسعلي طريق وأنا أمشى لقدام... يا عم ما تضايقتيش أكتر ما الواحد مضايق.

بدأ اليأس يتغلغل في النفوس، وبدأ الناس يتركون سياراتهم وافترشوا المساحات الخالية بين المدافن، وتعاونًا ممن يقطنون تلك المنطقة فقد أحضروا لهم الحصير وبعض من السجاد

والكراسي، وبسرعة البرق كان هناك من يعد الشاي والقهوة حتى من طلب النسكافيه تم تلبية طلبه، وعلى الفور تم إنشاء دورات مياه رجالي وحريمي في جوانب المدافن عبارة عن حاجز من البطاطين، وكله بتمنه، الداخل يُسأل أولاً إن كان معه مناديل ورقيه يدفع جنيهًا وإن لم يكن معه فيدفع جنيهين، وقد حدثت مشكلة مع أحد الأشخاص فقد كان يريد أن يدخل طفليه وزوجته إلا إن السيدة صاحبة الدورة قالت له:

- النفر يا باشا عليه جنيه، يبقى المطلوب تلاتة جنيه بدون مناديل وستة جنيهات لو حضرتك عايز مناديل.

نظر إليها بغضب شديد قائلاً:

- حرام عليكم حتى الأطفال عليهم فلوس؟! ده استغلال.

فقالت له وهي تضع يديها على خصرها:

- والله دي تسعيرتنا وغيرنا بيطلب أكتر من كده، لف على الجميع ولو لقيت زي أسعارنا ها أخلي ولادك يخشوا ببلاش والمناديل هدية كمان من عندي.

اضطر أن يدفع الستة جنيهات، وما أن خرجوا أجلسهم وأراد أن يفك عن نفسه مجانًا، فمشى بعيدًا حتى وجد مكانًا خاليًا مهجورًا فدخل فيه، وما أن أنزل بنطلونه وسرواله وهمَّ ليجلس القرفصاء، إلا وصُوب عليه نور بطارية، فارتعش من شدة الخوف، ورفع رأسه فوجد أحد الرجال واقفًا أمامه وقال له:

- المكان ده مش لقضاء الحاجة يا هندزه، ده مكان طاهر، روح شوف لك مكان تاني وأعملها فيه.

قام وأعاد لبس سرواله وبنطلونه ثم نظر إليه متعجبًا وقال له:

- أمال المكان المهجور ده إيه؟.

- ده مكان للمزاج والفرفشة السكيتي، وزباينه ناس محترمين، ساعة زمن وتلاقيهم جايين وكل واحد على هواه.

- على هواه! إزاي؟.

- حشيش، أفيون، بانجو، سرنجات على كل لون.

اندهش من كلام الرجل وسرح فجأة وقال له:

- والزباين ديه بتقضي حاجتها إزاي؟.

- فيه مكان مخصوص لكده.

- وماله، أحجز مكاني دلوقت لغاية ما ييجوا الزباين.

- ده أنت بقى صاحب مزاج والهوى رماك، نفض لك حتة وأقعد، وطلبك إيه؟.

- أفك عن نفسي وأجيلك.

- لف ورا هتلاقي أوضة من غير سقف خش فيها وبعد ما تفك عن نفسك تعالى.

عاد إليه بعد أن أحس براحة فسأله الرجل:

- شفيتم، ما قلتليش تحب تضرب إيه؟.

- أضرب بيرة.

- لا ممنوعة هنا ما بندخلهاش عندنا علشان بتونون بسرعة والناس اللي قاعدة مش عايزة دوشة، وكمان إحنا لسه في رمضان.

- طيب يبقى ماليش نصيب أضرب عندكم.

قالها وأسرع بخطاه مبتعدًا عن الرجل، ولاحقه الرجل بصوتٍ عالٍ:

- أما صحيح راجل معفن... بيقول عايز بيرة، آل بيرة آل، حد يشرب بيرة في رمضان، أما صحيح كافر وما بيخفش ربنا.

صوت طائرة هليوكوبتر تقترب من المكان وبدأت في إلقاء علب مغلفة، وعينك ما تشوف إلا النور، فقد بدأت معركة الجوع الكافر، الكل يحاول الحصول على علبة أو أكثر، فقد وقفوا على أسقف السيارات وما أن تقذف الطائرة بمجموعة من العلب غالبًا لا تصل للأرض فهناك أيادٍ تجدها عالقة في السماء ممسكة بالعلبة، وقد تلاحظ وجود مهارات فردية في الإمساك بأكثر من علبة في آنٍ واحد، وهناك من يمسك بعلبة بعد شد وجذب، وما أن يأخذ نفسه تُخطف منه في لمح البصر، وقد لفت انتباه البعض أن هناك سيدة تصرخ وهي تحاول الخروج بصعوبة من وسط الزحام فقد ظن البعض بأن العلبة التي حصلت عليها بعد عناء قد خطفت منها ولكنها قالت بعصبية شديدة:

- أما صحيح قلة أدب وسفالة رجالة صحيح ما تختشيش.

فشاركتها الكلام سيدة تقف بجانبها:

- هي قلة أدب بعقل إشحال أننا في رمضان دي رجالة عايزة الحرق... تقوليش كلاب مسعورة نازلين مسك في كل حتة في جسمنا.

سكون تام بعد هذه المعركة، الكل شعر بالتعب وجلس ليستريح ويضمد جراحة فالكثير قد مزقت ملابسه... ولم تمر لحظات إلا وبدأت تتعالى الأصوات صوتًا تلو الآخر:

" المحفظة اتنشلت، الموبايل بتاعي راح، ساعتي مش لاقيها، حلق البنت مش في ودنها، ده الحلق أتشد من ودنها وأتعورت، السلسة مش في رقبتي، يا نهار أسود ومطين.المسدس الميري أتسرق".

كل هذه السرقات كانت بفعل المعلم عتراوي ومعاونيه بعد أن نما إلى علمه أن هناك أزمة مرورية عطلت الحركة تمامًا ولن تنفرج هذه الأزمة إلا بعد فترة طويلة، وجاءت له الفرصة فبدلاً من أن يعمل أفراد عصابته في الحدائق وأماكن التجمعات المختلفة أيام العيد فقرر أن يبدأ العمل هذا المساء والرزق حتمًا سيكون وفيرًا، فجمع كل أفراد عصابته واستعان بآخرين ولم يتنبه أصحاب السيارات أن معظم الكاسيتات قد سُرقت حتى علامات ماركة السيارات نُزعت من أماكنها، وهناك سيارات

فُتحت شنطتها وسرق كل ما فيها، حتى المرايا الجانية لم تسلم من السرقة، يعني رجالة المعلم عتراوى خلصوا على كل حاجة وقعت تحت أيديهم.

مرّت ساعات وسمع الناس من ينادي بالميكرفونات:

- "كل عام وحضراتكم بخير بمناسبة عيد الفطر المبارك أعاده الله عليكم بالخير والسعادة، يعلنكم الأخ الحاج عليوة عنيزة شحتور وشهرته الحاج عنيزة شحتور عضو مجلس الشعب المستقل في الدائرة اللي أنتم فيها الآن عن أسفه الشديد لما حدث لكم من تعطيل ويبلغكم بأنه يقوم باتصالاته على أعلى المستويات وسوف تنفرج الأزمة في أسرع وقت ممكن، وينتهز هذه المناسبة ليعلن لكم بأنه قرر أن تكون المنطقة الواقعة على الجانب الأيمن مصلى للعيد، وسيكون أول المهنئين لكم غدًا إن شاء الله.. مع تحيات الحاج عنيزة شحرور".

يا خبر أسود ومطين، هو إحنا لسه ها نقعد لغاية ما نصلي العيد هنا.. هذا ما قالته إحدى السيدات الجالسات، فردت عليها أخرى:

- دي تبقى مصيبة بجد، معقولة ما فيش حد عارف يحل الأزمة دي؟.

- ما فيش حد فاضي كله بيجهز للعيد.

فردت أخرى:

- أرض وهبطت فجأة، وما حدش يقدر يجيب اللوم على حد لأنها حاجة طارئة وما حدش يقدر يعرف أمتى الأرض ها تهبط، بلاش نكور ونرمي.

فجأة وقف أحد الرجال من مكانه وكان ذو لحية كثيفة وقال بصوت عال:

- "غضب ربنا علينا، هو أنتم لسه شفتم حاجة دي عينة صغيرة يعني قرصة ودن زي الزلزال فاكرينه يا إخوة ولا نسيتوه؟ طبعًا نسينا هو في حد النهاردة بيفتكر، الناس تركت ربنا ومشيت ورا الفلوس والبورصة ولعب الكورة والتلفزيون والمسخرة في الأفلام والرقص العريان والتمثيليات، وآخرها آل إيه ست متجوزة أربعة في وقت واحد، ده في شرع مين بالله عليكم، أولادنا وبناتنا يا أخونا بيضيعوا منا، طول الليل سهرانين قدام النت وبيعملوا شات، والشات للأخوة اللي مش عارفين معناه يعني أكلمك وتكلمني على شاشة الكمبيوتر، وهو من أنواع الفجور اللي بيوصل المشيتين للفاحشة، اللهم أحفظنا، أعدائنا أعداء الدين اللي عايزين ولادنا وبناتنا زيهم هما اللي صدروا لينا كل ده علشان يدمروا أولادنا وبناتنا، وعلشان نطلع من هذا المأزق لابد من الدعاء، الدعاء لربنا علشان يقف بجانبنا ما هو ما فيش حد ها يسأل عنا".

نام الناس من شدة التعب ولم يوقظهم إلا صوت تكبيرات العيد فقد جهز الحاج عنيزة شحرور وأبناء دائرته ما وعد به ووقف يستقبل الوافدين ووقف بجانبه أحد الرجال يعلن فتواه:

- "يا أخونا عليكم بالتيمم فهذا عذر مقبول"

انتهت صلاة العيد، وبدأ الحاج عنيزة شحرور في القاء خطبته:

- "السلام عليكم أيها الأبطال، أنتم فعلاً أبطال، وسيكتب التاريخ أنكم قاومتم التعب والإحباط يومًا كاملاً، لكن نعمل إيه؟... أنا ما نمتش طول الليل، وبأعمل اتصالات مع كل المسئولين وعلى كل المستويات، يعني أنا حاسس بيكم وعايزكم تحسوا بيا، أنا مش مقصر واللي كانوا بيتابعوا جلسات المجلس من خلال التلفزيون يعرفوا من هو الحاج عنيزة شحرور اللي بيهز أركان القاعة وطبعًا بتفتكروا معايا قضية رؤوس الحمير اللي لاقوها في صناديق الزبالة وطلع إن في ناس عليهم لعنة الله بيدبحوها ويبيعوها على أنها لحمة بلدي والناس بتاكل وتتقرع كمان وما فيش حد نهق ولا رفس إلا العبد الفقير اللي واقف قصادكم ده هو اللي فجر القضية وطالبت بإعدام هؤلاء... إخواني لن أطيل عليكم ويا ريت كل واحد منكم يسجل رقم تليفوناتي المحمولة معاه وهنوزعها عليكم دلوقت مع حاجة بسيطة من أخوكم هدية عبارة عن علبة عصير وباكو بسكويت، وأنا متواجد على مقربة منكم لو أي حد عايز أي مساعدة يتصل بيا على طول... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وكل عام وكلكم بخير، ولا تنسونا في الانتخابات الجاية فأنا منكم ولكم وخير من يمثلكم.

صوت منال ينبعث من داخل السيارة وهي تصرخ:

- كريم مش موجود في العربية يا تامر

تامر يأتي مسرعًا:

- أمال راح فين الواد؟ أمال إنتي كنتي فين؟.

- أنا نعست شوية والظاهر فتح الباب ونزل.

- نزل... الله الله، ها يكون راح فين؟... شيلي البت على كتفك وندور عليه.

استر يا رب، استر يا رب... قالتها منال بصوت مخنوق.

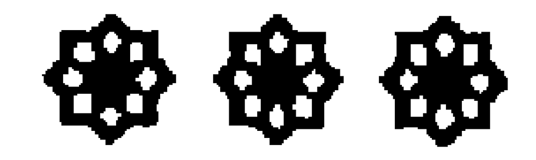
وبدأ تامر ومنال رحلة البحث عن كريم بالمرور بين السيارات الواقفة وهم ينادون: " حدش شاف طفل صغير اسمه كريم" ؟.

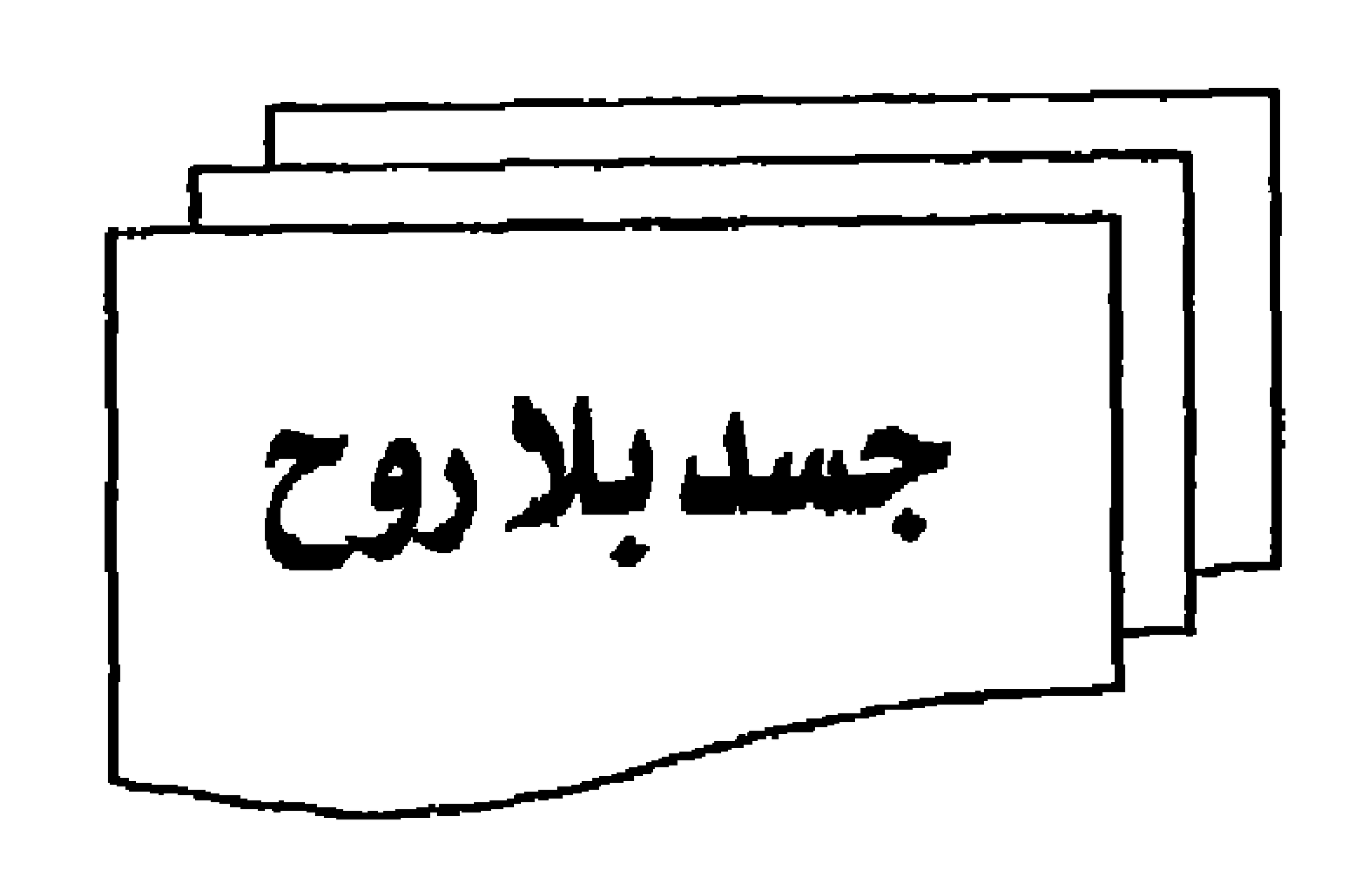
وفي هذه الأثناء بدأت الأزمة تنفرج، وبدأت السيارات تتحرك ببطء شديد، إلا سيارة تامر فقد ظلت كما هي، وقام مجموعة من أصحاب السيارات بتحريكها بجانب رصيف الشارع.

ساعتان مرَّتا واختفت السيارات التي كانت بلا حراك، وأصبح الشارع شبه خالٍ... صوتٌ يأتي من بعيد، إنه صوت منال وهي تصرخ منادية على طفلها:

- "يا كريم... يا كريم... أنت فين يا حبيبي؟".

اختفى كريم.





جسد بلا روح

" المرزبة "...

هكذا أطلق عليه المساجين، فهو طويل القامة، ضخم الجثة، غليظ اليدين، طويل الأصابع، كفاه مفلطحان تشبهان المرزبة التي تستخدم في تكسير الحجارة.. وهكذا اشتهر الصول عباس مندور بهذا الاسم في سجون مصر، ولهذا فإن جميع المساجين يعملون له ألف حساب، وأصبح هو فخورًا بذلك، وكم من الحكاوي التي يرويها المساجين عنه، فذات مرة نشبت مشاجرة بالسجن بين مجموعة من المساجين الجُدد الذين لا يعرفونه، فما كان منه إلا أن أمسك بأحدهم ووجه له لكمة بكلوة يده اتجهت مباشرة لأنفه، سقط على إثرها ونُقل لمستشفى السجن، فقد أدت هذه اللكمة إلى اختفاء معالم أنفه، وطار صف أسنانه الأمامي، ويقال إنه نُقل بعد ذلك إلى مصحة الأمراض العقلية فعندما كان بالمستشفى وفكت عنه الأربطة نظر إلى المرآة فرأى وجهه وقد تغيرت معالمه تمامًا وأصبح كمؤخرة القرد، فهاج هياجًا شديدًا واختل عقله.

كان الصول عباس يتفانى في عمله مما جعله محبوبًا بين رؤسائه، وهو المسئول عن ترحيل المساجين لجلسات المحاكم فعندما يجلس معهم في سيارة الترحيلات لا يتحدث مع أحد، حتى إذا نام أثناء الطريق لا يصدر منهم أي صوت خوفًا من بطشه، فهو لا يرحم، وكفه يسبق لسانه.. وإذا تغيب لقيامه بإجازة؛ تعم الفرحة في السجن، وإذا مرض - وهذا نادرًا ما يحدث- ترتفع الأيادي للسماء بدعوات الموت له أو أن تُشل يداه.

والصول عباس متزوج وله ولدان لم يحضر ولادة أيًا منهما، وعندما علم بأن والد زوجته أطلق اسم أحمد على مولوده الأول هاج وماج وقام بتغيير الاسم إلى "برعي"، ولحبه الشديد لصديقه الصول عنتر أطلق اسمه على مولوده الثاني.

مات والد زوجته بحسرته بعد أن أحس بعقدة الذنب بعدما رأى ابنته الوحيدة التي لم ينجب سواها تعاني الأمرين من عباس حتى أصبحت وكأنها في خريف عمرها تتساقط يومًا بعد يوم وهي التي لم تبلغ العشرين بعد، فهو الذي رفض الكثير ممن تقدموا للزواج منها، ورغم أن عباس ليس له جذور بالقرية وأقاربه يعدون على أصابع اليد الواحدة إلا إنه انبهر بزيه العسكرى ولم يخطر بباله أنه سيدفع بابنته إلى هذا الوحش الكاسر، وحاول بشتى الطرق أن يخلصها منه فلم يفلح، فعباس سليط اللسان كلماته تخرج كالكرباج وعندما يتكلم تهتز الجدران وكأن حنجرته استبدلت بماسورة واسعة من الحديد الصدأ

فصوته يُسمع عن بعد ويعرفه الجميع، وكل هذه الصفات جعلت منه تركيبة حيوانية نادرة تحتار في تحليل مكوناتها فهو يعامل أولاده وزوجته كالمساجين فبيته مغلق أثناء وجوده بالسجن لا يسمح بدخوله إلا لوالدة زوجته فقط التي تحضر من آنٍ لآخر تحمل ما يقتاتون به، فهو بخيل جدًا لا يترك لزوجته أي نقود عندما يذهب، وعندما يحضر لقضاء إجازته يحمل معه بعض ما يحصل عليه من مطبخ السجن أو من زيارات المساجين التي يتقاسمها معهم دون اعتراض، وعندما يدخل إلى المنزل تُغلق الأبواب ويظل نائمًا يومًا بطوله لا يتحرك، ولولا صوت شخيره الذي يشبه شكمان السيارة المثقوب لظننت أنه جثة هامدة تفوح منها رائحة نتنة تفوق مقبرة الكلاب، فهو لا يستحم إلا نادرًا، ملابسه الداخلية تشك أنها كانت في الأصل بيضاء، لا يهتم بصغيريه ولا يداعبهما، وإذا نادى على أحدهما نعته بأحط السباب، تتوقف طفولتهما عند وجوده، فلا تسمع لهما صوتًا ولا يلعبان خوفًا من بطشه، بالكاد يتنفسان، جسدهما نحيل جدًا، وجهاهما تتناثر عليهما لطع بيضاء من فرط ضعفهما، فهما أشبه بالدمى البلاستيكية المتسخة... يعاشر زوجته كالثور الهائج ويغازلها بأحط الكلمات، يضربها كثيرًا لأتفه الأسباب، وذات مرة أوسعها ضربًا مفرطًا لرفضها معاشرته لأنها حائض، ولم يشفع لتوسلاتها عندما كانت صائمة في رمضان، وهجم عليها كالذئب الجائع وعاشرها رغمًا عنها.

وعندما تنتهي أجازته - والتي لا تزيد في الغالب عن ثلاثة أيام- تعود الروح لزوجته وتجري بقايا الدماء في عروقها، ويتحرك ولداه بالمنزل ويعودان لطفولتهما.. هذا هو حال جميلة وولديها إلى أن حضر حسنين ابن خالها، وكان نادرًا ما يزور قريته، وعرف بقصتها من والدتها وقرر أن يزورها بصحبة والدتها وليكن ما يكون.

دقت والدتها على الباب وفتحت جميلة، وما أن رآها شك أنها ابنة خاله التي يعرفها فقد اختفت نضارتها وأصفر وجهها، فشعر بالأسى الشديد، ترددت جميلة في مد يدها لتسلم عليه، تخوفت من دخوله فجذبته والدتها ودخل، لم يجلس، نظر إلى ولديها فوجدهما وكأنهما للموت مقبلان، أمسك بيد الصغيرين وخرج بهما إلى الشارع وكانا يمشيان كالسكارى يترنحان من فرط ضعفهما، عيونهما زائغة هنا وهناك، أجهدهما السير، اشترى لهما الحلوى وما طلبت أعينهما، وعاد معهما.

وكانت هي المرة الأولى التي يزور جميلة أحد من أقاربها منذ زواجها، وصممت هي أن يتناول معهم طعام الغداء، فاعتذر وناولها بعض من المال وغادر، ووعدها بالحضور كلما سمح وقته بذلك.

جلست جميلة وحولها ولداها وكأنها في حلم لا تريد أن تستيقظ منه للواقع الأليم، فقد شعرت جميله بنبض الحياة يعود بعد أن كانت مستسلمة للفناء داخل زنزانتها.

ودارت الأيام على وتيرتها.. يحضر عباس للمنزل فترتجف الأبدان وتحبس الأنفاس وتتوقف الحياة، ويذهب فتذهب معه الغمة. وكان حسنين ابن خالها يحضر على فترات متباعدة بصحبة والدتها يحمل معه ما يستطيع أن يقدمه لها ولولديها، فأصبح بالنسبة لهم العناية الإلهية التي تنقذهم من الجفاف.

وذات مرة عاد عباس بعد أسبوع؛ وعلى غير عادته؛ إذ كان يتغيب لأكثر من شهر، ولكنه كان بمأمورية بالمديرية والمسافة قريبة من قريته ووجدها فرصة للمرور على المنزل لمدة ساعة لينال زوجته، وعندما دق على الباب واهتزت جدران المنزل؛ هرب الدم من عروق جميلة وتمنت في نفسها الموت، إنه عباس فكيف تفتح وحسنين موجود فقد حضر منذ دقائق بصحبة والدتها، يا لها من مصيبة، فعباس ليس له عقل يميز به وحتمًا ستقع الكارثة التي لا يعلم مداها إلا الله.. ظلت متسمرة للحظات، وزادت خبطاته على الباب وكأنها الزلزال المدمر، وبصعوبة بالغة ويدان ترتعشان فتحت الباب وكأنها فتحت بوابة جهنم الحمراء فأمطرها بوابل من السباب لتأخرها في فتح الباب وأزاحها بيده من طريقة فطارت كالريشة إلى أحد جوانب الحجرة واستقرت دون حراك، والتفت فوجد حسنين جالسًا بجانب والدتها وقد تملكه الرعب والعرق ينساب من كل أجزاء جسمه فبلل ملابسه وبدأت تنتابه رعشة قوية، فتقدم إليه وأطبق على رقبته ونظر إلى جميله، وقبل أن يسألها قالت

بصوت ضعيف متقطع إنه ابن خالها حسنين وجاء ليسلم عليها مع والدتها التي انهارت وانتابتها حالة صمت رهيب جعلتها متحجرة دون حراك ولكن لمن تقول ! وبحركة سريعة أمسك بحسنين وطرحه بجانبها وقذفهما ببصقة غطت وجههما وراح يسبها بأنها فاجرة استغلت عدم وجودة وأدخلت غريب بالمنزل ولابد من قتلهما، وذهب وأحضر سكينًا وتوسلت إليه جميلة وهي تبكي ألا يفعل ذلك فهي شريفة ولم تخنه وظلت تحلف بالله بأنها مظلومة، ونظر إلى حسنين ووجه إليه لكمة أفقدته الوعي للحظات وسبه بأحط الألفاظ. تماسك حسنين وحلف بأن جميلة ست عفيفة ومحترمة، ولكن عباس لم يلتفت لتوسلاتهما وظل يبصق عليهما ثم جلس وأخرج سيجارة وأشعلها وسرح للحظات محدثا نفسه: "لو قمت بقتلهما سيكون الإعدام مصيري وسيضيع مستقبلي، ولو اتسجنت فيا فرحة مساجين مصر كلها ولا ينفع مأمور خدمت معه ولا ضابط قعدت معاه ويا خوفي لو دخلت السجن اللي بأخدم فيه الآن ها يستقبلني الصول مسعود عدوي اللدود أحسن استقبال وسيسهل للمساجين طريق أذيتي، ومش بعيد يموتوني موتة الكلاب اللي أنا عارفها... لا لا لن أقتلهما".

ثم وقف وطلب منهما أن يخلعا ملابسهما تمامًا فلم يمتثلا لأمره فأشهر لهما السكين وصرخ بصوتٍ عالٍ وكرَّر الأمر، فأدارت جميلة وجهها وخلعت عباءتها ووجهها يعلوه الخجل من ابن

خالها، ولكن عباس طلب منها أن تخلع كامل ملابسها فرفضت ولطمت خديها وانحنت وقبلت قدميه بألا تفعل ذلك، ولكنه ركلها بقدمه وقام بتجريدها من كامل ما ترتديه وقام بتقييد يديها من الخلف ثم التفت إلى حسنين ووجده لا زال بملابسه فلكمه لكمة شديدة أفقدته الوعي ووقع على الأرض دون حراك وجرده من ملابسه وقيده كما فعل مع جميلة، وانتظر حتى أفاق حسنين من وعيه وقام بربطهما معًا وصرخ فيهما للوقوف ثم فتح باب المنزل وساقهما أمامه كالبهائم إلى الشارع ممسكًا بعصا غليظة وهو يزعق بصوته: " الفاجرة والفاجر والحاضر يبلغ الغائب" وحاولت بعض من النسوة اللاتي تجمعن بالشارع أن يسترن جميلة، إلا أنه كان يبعدهن بالعصا.

الموكب جنائزي رهيب، فقد تجمع كل أهل القرية؛ حتى من كان منهم بأرضه يروي زراعته؛ عاد مسرعًا، ووقفوا مصطفين على جانبي الطريق، الكل وقف صامتًا، الوجوه تنظر دون حراك، جميلة وحسنين يمران وسط الوقوف، يجران أرجلهم المتثاقلة، أهل القرية لم يصدقوا ما فعلته جميله، الكل يضرب كفًا بكف من هول المشهد، فلم يحدث في القرية من قبل مثل هذا المنظر المشين.

وصل عباس بهما وخلفه أهل القرية إلى منزل العمدة الذي كان واقفًا وحوله حاشيته لاستقبال الموكب، وبعد أن سمع من

عباس عن الأسباب؛ أصدر حكمه الأول بأن يطلّق عباس جميلة واتبعه بحكمه الثاني بطرد جميلة وأمها من القرية وعدم دخول حسنين ابن خالتها القرية مرة أخرى... فهلل أهل القرية لحكم العمدة وقام عباس بتطليق جميلة بالثلاث.

وهكذا أنهت جميلة فترة سجنها المؤبد بقرار من العمدة، ونفذه الصول عباس وأصبحت جميلة حرة.. ولكنها الحرية المجروحة.

غادر حسنين بصحبة جميلة وولديها ووالدتها ليلاً خوفًا من بطش أهل القرية، واتجهوا إلى الإسكندرية حيث يقطن حسنين وأقاموا معه، ولكن جميلة شعرت بأنهم حمل ثقيل عليه، خاصة أن شقته التي يقيم بها لا تسعهم مع زوجته وأولاده، وطلبت من حسنين أن يبحث لها عن أي عمل حيث أنهم أصبحوا عالة عليه وظروفه المالية لا تسمح بإعالتهم مع أسرته وحتى يمكن أن تجد مكانًا تسكن فيه مع والدتها وولديها.

وأخيرًا، وبعد بحثٍ مضنٍ، وجد لها حسنين عملاً بإحدى المستشفيات كعاملة نظافة، ولكن ما تحصل عليه كان قليلاً، فاضطرت أن تعمل وقتًا إضافيًا بأحد مصانع الملابس وكانت مهمتها كي الملابس وتغليفها، واستطاعت أن تحصل على شقة صغيرة وانتقلت للإقامة فيها مع والدتها وولديها.

واستمرت حياة جميلة على هذه الوتيرة تخرج صباحًا وتعود في المساء مرهقة.. إلى أن تقابلت مع عزوز المسلكاتي سائق

التاكسي والذي أقنعها بأن تذهب معه إلى القاهرة حيث ينتظرها هناك المال الوفير وتستطيع أن تعيش الحياة الهانئة.. ورغم رفض والدتها وحسنين ابن خالها، إلا أنها أصرت، وكان لها ما أرادت، وكان لعزوز المسلكاتي ما أراد، وسقطت وانزلقت في وحل الرزيلة، وسارت في الطريق الذي هيئه لها الشيطان وتابعه عزوز المسلكاتي فأصبحت بائعة للهوى لمن يهوى.

لم يمض الكثير إلا واستأجرت شقة فخمة تديرها للسهرات الحمراء، وساعدها على ذلك أنها تعرفت على رجال أعمال وتجار مخدرات وغيرهم ممن يبحثون عن المتعة الحرام... وذات مرة جاء إليها أحد كبار تجار المخدرات ومعه مجموعة من بطانته، وكانت تعمل لدى جميلة إحدى بائعات الهوى ضخمة الجثة وقد وظفتها خصيصًا كطلب بعض الزبائن الذين يستهويهم هذا النوع من النساء، فلما رآها أحدهم انتابته حالة من الضحك المتواصل وضحك الجميع وبدأت النكات تُطلق عليها وهي تجاريهم في ذلك، وقال أحدهم إن الوحيد الذي يقدر عليها هو عباس مرزبة، فأيده المعلم ضاحكًا بأن الصول عباس هو فعلاً من يقدر عليها، فانتبهت جميلة للحديث بدهشة وسألت المعلم حجازي عن الصول عباس، فقال لها إنه صول معروف في سجون مصر لا يفرق كثيرًا عن الثور وله يد طائشة تشبه المرزبة ونصف من ماتوا في السجون من ضحاياه.

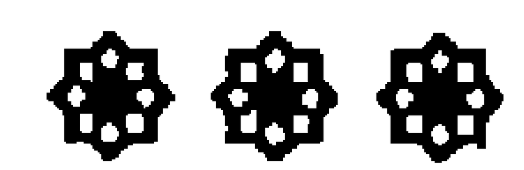
انتهت السهرة، وهمّ الجميع للذهاب، فطلبت جميلة من المعلم حجازي أن يبقى معها بعض الوقت، فانفرجت أساريره، وحين انصرف الجميع وانفردت بالمعلم حجازي؛ طلبت منه أن يحكي لها عن الصول عباس فاندهش وسألها عن الأسباب، فأفهمته بأنه كان السبب في موت شقيقها السجين وأنها تريد أن تنتقم منه وله ما يريد منها، وكان المعلم حجازي يهيم بها.. فاتفقا وبارك لهما الشيطان.

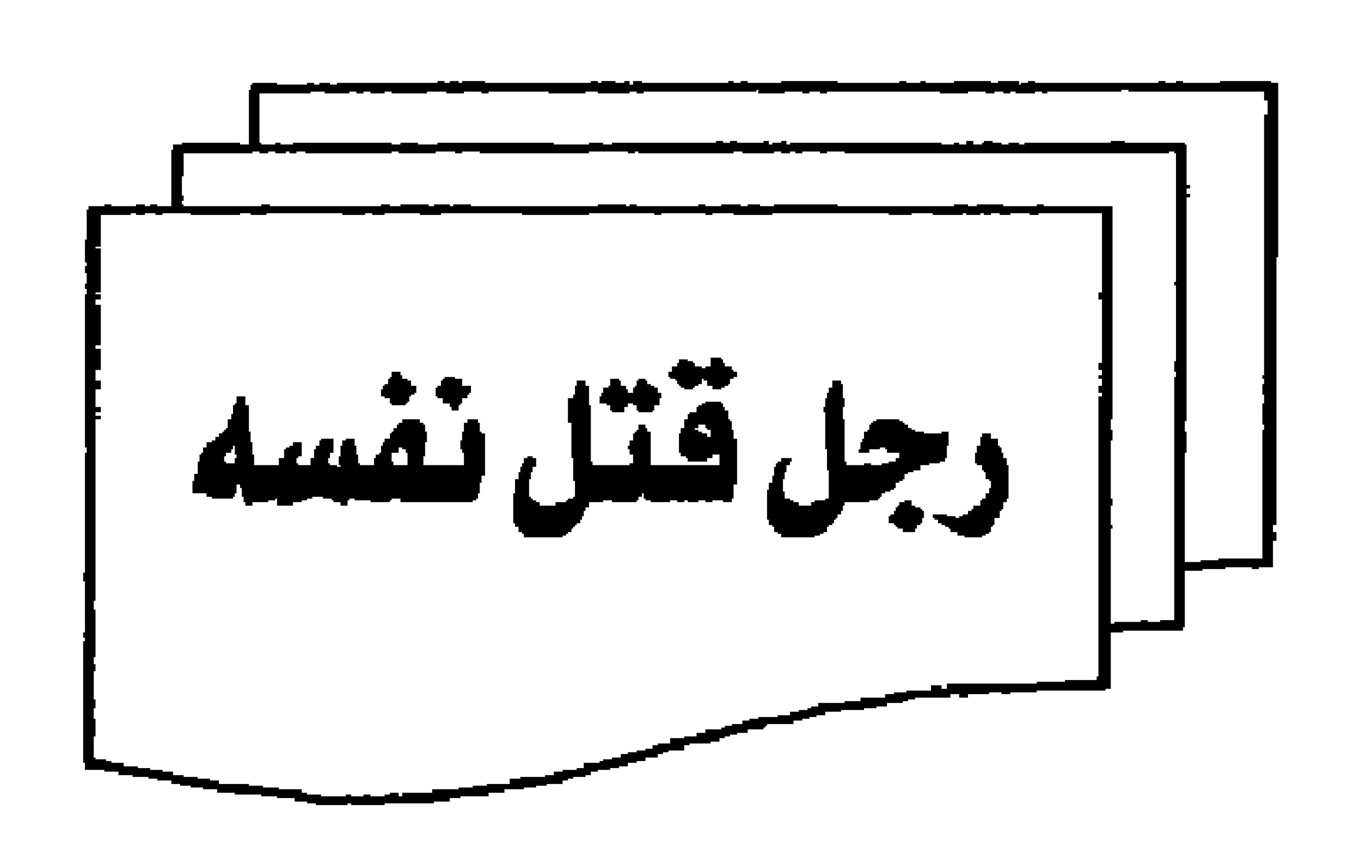
ولم يمر شهر إلا واتصل بها المعلم حجازي وأبلغها بأن غدًا مساءً ستتم العملية وستملأ صورته صفحات الحوادث بالصحف الصباحية، فكانت أحلى مفاجأة لجميلة، وأصبحت تعد الساعات التي كانت تمر عليها كأنها سنوات، ولم تذق طعم النوم حتى سطعت شمس اليوم التالي... خرجت على غير العادة مبكرًا واشترت كافة الصحف الصباحية، تصفحتها لعلها تجد صورة لعباس بصفحة الحوادث فهي أمية لا تقرأ، لم تجد صورته، شعرت بخيبة أمل، فكَّرت أن تتصل بالمعلم حجازي، ولكن تفكيرها راح سدى فهي لا تعرف مكانه وليس لديها رقم تليفون له.

عادت لشقتها مشتتة الفكر، شعرت بصداع شديد يحزم رأسها، ألقت بنفسها على السرير، نامت.

دقات عنيفة على باب الشقة، تماسكت نفسها، فتحت الباب، كان رجال الشرطة، اندهشت، تقدم منها الضابط وطلب منها أن تذهب معهم لقسم الشرطة، فلما استفسرت قال لها: هناك ستعرفين كل شيء.

يا لها من مفاجأة.. إنه عباس مندور، هو كما هو، لم يمت، انتابتها حالة من الارتباك الشديد، ارتعشت أوصالها، لم تقدر رجلها على حملها، شعرت بدوار شديد أوقعها أرضًا... أفاقوها، فُتح المحضر، وجَّه لها المحقق تهمة الإيعاز بقتل المدعو عباس مندور، فلما نفت؛ جيء بالمعلم حجازي الذي اعترف بأنها أوعزت إليه بقتل الصول عباس مندور.





جاء متأخرًا كعادته واعتذر بمنتهى الرقة ووزع الابتسامة هنا وهناك وجلس وسط الشلة على المقهى الذي اعتادوا الجلوس عليه مساء كل يوم خميس، وعندما سأله أحدهم عن سبب تأخره فأفهمهم بأنه كان بالخلوة مع إحدى الجميلات؛ والخلوة هو اصطلاح أطلقه على شقته؛ فقد عُرف بينهم بأنه زير نساء وحكاياته معهم خلال السهرة عن مغامراته النسائية وكيف يوقع بفريسته ويتبحر ويغوص في وصفها وكيف كانت الليلة، والكل ينصت إليه بشغف ولا يقاطعه أحد، ولهذا لقبوه باللورد لوسامته وشياكته التي تفوق الوصف، كما أن رائحة البرفانات التي يتعطر بها تميزه عن بُعد فتعرف أنه آتٍ أو موجود بالمكان.

هو الوحيد بين الشلة الذي لم يتزوج، رغم أن سنه قد قارب الأربعين وحاولوا معه كثيرًا إلا أنه رفض هذه الفكرة بالمرة وكان يتغنى دائمًا بأنه عاشق للحرية وأن الزواج ما هو إلا زنزانة مظلمة.. وكان عندما يرى أحدهم مهمومًا يضحك ويقول له: اشرب من كأس الزواج لتدفن في مقبرة الأزواج.

حاولت الشلة أن تعرف - بأي طريقة كانت - مكان الخلوة، إلا أن محاولاتهم جميعًا باءت بالفشل، فقد حرص على ألا يعرف أحد عنوانه رغم الصداقة التي تجمعهم منذ فترة طويلة ورغم أن بعضهم يعمل معه بشركة واحدة، وحتى عندما كان يتغيب لمرضه لا يعطي فرصة لأحد أن يحضر إليه ليزوره، وكان لديه من الحجج الكثير التي تقنعهم؛ فتناسوا ذلك.. غير أنه كان سباق في زيارة من يمرض منهم، وأول من يجامل في المناسبات السارة، وهو البنك الذي يقترض منه بعضهم عند الحاجة، ولا يرفض طلب لأحد مهما كان. وكان بسيطًا في تعاملاته؛ خاصة مع عمال الخدمة؛ لذلك فهم يسارعون إليه عندما يطلب منهم شيئًا ما، فهو يغدق عليهم بسخاء... فأصبح شخصية محبوبة لمن يعرفه، ولكنه ورغم ما عرف عنه بمغامراته النسائية إلا أن ذلك لم يظهر عليه في تعاملاته مع من يعملن معه بالشركة وعندما يتحدث مع إحداهن يكون حديثه مقتضبًا، وقد حاولت الكثيرات منهن أن يتقربن إليه، لكنه كان دائمًا ما يتهرب بلطف.

ورغم حياته بمفرده لا يشعر بالملل ويقضي يومه صباحًا بالشركة وباقي وقته بمنزله لا يغادره إلا للظروف الطارئة، ومساء كل خميس لمقابلة الشلة على المقهى، يقطن بشقة فاخرة تطل على النيل مباشرة بإحدى العمارات التي ورثها ولكنها تدر عائدًا قليلاً من الإيجار الشهري، ولهذا التحق بالعمل بالشركة حيث أنه حاصل على ليسانس اللغات والترجمة مما ساعده في الحصول على عمل بصورة ميسرة.

لديه شقيقة واحدة متزوجة وتعيش بالخارج منذ فترة طويلة ولم تحضر لزيارته منذ أن سافرت، فهي تطمئن عليه تليفونيًا من آنٍ لآخر، ويتولى درويش البواب وزوجته كافة طلباته علاوة على تنظيف الشقة وهو يثق فيهما، فدرويش البواب يعمل بالعمارة منذ سنوات طويلة ولا يسمح لأحد بدخول شقته إلا له وزوجته فقط أما بخصوص طعامه اليومي فهو يتعامل مع أحد المطاعم المجاورة عن طريق درويش البواب.

هذا هو مدحت المنسترلي، أو "اللورد" كما يطلق عليه أصحابه.

وذات مرة وأثناء وقوفه بمدخل العمارة يتحدث مع درويش البواب؛ دخلت إحدى السيدات ووقفت تنتظر المصعد فلم يهبط فصاحت على درويش البواب الذي لم يعيرها انتباهًا، فاستشاطت غيظًا واتجهت ناحيته لمعاتبته، فانتابتها الدهشة عندما وجدت مدحت، فقالت وهي مبتسمة:

- معقولة الأستاذ مدحت المنسترلي ؟

- آسف جدًا مين حضرتك؟

- لا مش ممكن، معقولة مش عارفني، أنا مدام فادية بالعلاقات العامة بالشركة.

- والله أنا آسف جدًا لعدم معرفتي بكِ، عمومًا أهلاً وسهلاً، إنتي ساكنة في العمارة ؟.

وهنا ضحكت فادية برقة وقالت:

- معقولة، مش عارف حتى سكان عمارتك ؟.

وهنا تدخل درويش البواب وأفهمه بأن المدام فادية تحضر كل فترة لزيارة خالها الأستاذ عمران بالدور السابع.
ثم جاء المصعد، ودخلا سويًا ومعهما درويش البواب، ونزلت هي بالدور السابع، وهو بالدور العاشر حيث تقع شقته.

في يوم الخميس موعد اللقاء مع الشلة، وما أن جلس؛ لاحظ الوجوم على وجوههم، فاستفسر منهم عن سبب ذلك فلم يرد عليه أحد، فوقف ونظر للجميع وتأهب للرحيل، إلا أن أحدهم أمسك بيده وقال له:

- إنت مستعجل ليه يا لورد؟ أجلس.
- شكلكم مش حلو الليلة وباين ها نقضيها حزن ونغنى ظلموه !.

فما أن جلس أقترب أحدهم منه وقال له:

- يا راجل إنت مش سايب حد خالص كله شاحنه على الخلوة؟.

فاندهش من كلامه وقال له:

- تقصد إيه من كلامك؟، وضح علشان مش فاهم.
- أقصد الصيد الجديد مدام فادية؟.
- ومين مدام فادية؟.
- مدام فادية اللي في العلاقات العامة !.

سرح للحظات راجع فيها ذاكرته فتذكرها فهي التي تقابل معها بالعمارة ولكنه اندهش فهو لم يراها إلا لدقائق معدودة ولم يتحدث معها إلا القليل فكيف انتشر الخبر وعرفت به الشلة وتم

تصويره بهذه الصورة.. وراح يشرح لهم اللقاء الذي تم بينه ومدام فادية فلم يقتنع أحد منهم بكلامه وساد صمت تام فقرر أن يغادر المكان، فاستوقفه أحدهم وقال له:

- يا سيدي المشكلة مش مشكلتك أنت، المشكلة في الست فادية كيف تفرط في نفسها، وزوجها راجل محترم سافر وتغرب ليوفر لها عيشة كريمة هي وأولادها وكنت لازم تفرمل عندها يا لورد! وخاصة أن زوجها زميل لنا في الشركة، ما أنت عارفه الأستاذ كمال الحرموشي.

تسمر مدحت في مكانه وتصبب منه العرق وتوترت أعصابه وصمم أن يذهب، فقام متجهًا لسيارته فذهب وراءه أحدهم وأستأذن أن يركب معه وطلب منه أن يذهبا لمكان هادئ ليتحدثا معًا، واختارا أحد الكازينوهات المطلة على النيل، وما أن جلسا حتى طلب منه مدحت أن يشرح له كيف وصل الخبر للشلة فأبلغه أن الشركة كلها علمت بالموضوع من فتحية رويتر وما أدراك ما هي! ويقال إنها سمعت مدام فادية تتحدث مع إحدى الزميلات بالمكتب وتقول لها بأنها تقابلت معك وانتشر الخبر بسرعة البرق، والشلة عرفت بالموضوع زي باقي الشركة... فقال له مدحت:

- أقسم بالله العظيم بأنني وهذه السيدة أبرياء من هذا الإثم.

- ولكنك اعترفت بأنك قابلتها.

ـ نعم قابلتها، ولكن لدقائق قليلة، وفى مدخل العمارة التي أسكن بها وكانت في زيارة لخالها وكان يقف معنا درويش البواب، فكيف تم تصوير الموضوع بهذا الشكل المريب؟.

ـ الكل يعرف أنك زير نساء ولهذا صدقوا ما قالته فتحية رويتر.

وهنا شعر مدحت بصداع شديد وأستأذن من صاحبه بأن ينصرف وتركه وركب سيارته وأخذ يفكر كيف يدافع عن نفسه وعن هذه السيدة البريئة.. ولكن يدافع أمام من؟ الشركة كلها انتشر بها الخبر، أيقابل كل موظف ويقنعه بأنه ومدام فادية أبرياء من هذه التهمة الظالمة؟! وماذا لو وصل الخبر لزوجها وأولاد الحلال كثير وليس من المستبعد أن يكون الخبر قد وصل له بالفعل؟ وكيف سيتقابل بوجوه الموظفين.

شعر بإرهاق شديد فتوقف بسيارته أمام أحد محلات السوبر ماركت ونزل واشترى زجاجة عصير وتناولها، ثم عاد واستقل السيارة، لكنه لم يستطيع أن يواصل السير فقرر أن يتوقف بالسيارة على جانب الطريق ونزل وأغلقها ونادى على تاكسي واستقله للمنزل.

رآه درويش البواب يدخل من باب العمارة منهكًا فسأله ليطمئن وعسى أن يطلب منه شيء فطمأنه وأوصله للشقة.

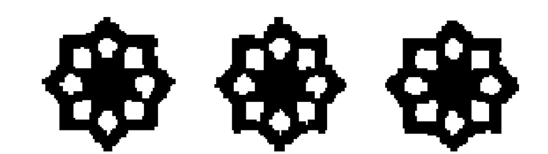
لم يراه درويش البواب في الصباح كعادته.. ظن أنه لن يذهب للشركة اليوم. وجاء الظهر ولم ينادي عليه بواسطة الجرس

الخاص به والموجود بحجرته، فاعتقد بأنه لا يريد شيئًا.. سأل زوجته فقد تكون رأته يخرج فنفت رؤيته، ساورهما القلق فهو لم يطلبهما عن طريق الجرس لإحضار طعام الغداء؛ خاصةً أن الساعة قد جاوزت الثامنة مساءً. الحيرة انتابت درويش البواب فقرر أن يصعد للشقة ليتحرى الأمر فقد يكون مريض وخاصة أنه رآه ليلة أمس وهو متعب... رنَّ جرس الباب، لم يفتح، أعاد الرنين أكثر من مرة، ثم دقَّ على الباب بقوة ولكن دون جدوى.. نزل مرتبكًا سألته زوجته فحكى لها ما حدث فاقترحت عليه أن يفتح بالمفتاح الذي معه فرفض تخوفًا من أن يكون نائمًا وينزعج عندما يراه، فقرر أن يذهب للكشك المجاور للعمارة ويحدثه بالتليفون فقد يكون نائمًا.. ظلَّ التليفون يرن عدة مرات ولم يرد، فقرر الصعود مرة أخرى ليفتح بالمفتاح الذي معه، وقف أمام باب الشقة مترددًا ولكنه فتح الباب ودخل إلى الريسبشن ووقف ونادى عليه أكثر من مرة فلم يرد، تنقل من غرفة لأخرى ثم دخل إلى المطبخ ثم فتح باب الحمام فلم يجده... إذن أين هو؟! فتذكر بأنه يميل أحيانًا للجلوس بالروف على سطح العمارة فصعد بالأسانسير، اتجه بنظره مباشرة للمكان الذي يهوى الجلوس فيه فوجده ممدًا على الكنبة فظن أنه نائم، نادى عليه فلم يرد، اقترب منه، أمسك يده، وجدها باردة، نظر في وجهه وجده أزرق اللون، تركه ونزل مسرعًا للدور الرابع حيث توجد شقة أحد الأطباء الذي بادر مسرعًا بالصعود معه،

تفحصه، وجده قد فارق الحياة، وجد زجاجة فارغة ملقاة بجانبه كانت تحوى أقراصًا مهدئة، إذن فقد يكون انتحر.

جاء البوليس وعثر بأحد جيوب البنطلون على ورقة مكتوب فيها:

"أقسم بالله العظيم بأن مدام فادية مظلومة ولم ألمسها ولم أراها طيلة حياتي إلا لدقيقتين، وكان معي درويش البواب فاسألوه، ولكن كيف أقنع الجميع بأنها مظلومة؟ فكرت أن أذهب للشركة وأتجرد من كل ملابسي ليعرف الجميع حقيقتي وحقًا أنها مظلومة فعلاً، ولكن كيف أفعل ذلك؟... ولهذا قررت الانتحار لأخلص نفسي من الوهم الذي أعيشه، ومن العذاب الذي لازمني طيلة حياتي، وأنا لست كما يعتقد البعض زيرًا للنساء.. وليسامحني الله".





صمت الأفواه

انتظر والده منه أن يفاتحه في أمر زواجه بعد أن حصل على ليسانس الحقوق فقد بلغ الثانية والعشرين، ولولا دراسته الجامعية لتزوج وأنجب طفلين أو ثلاثة كأخويه اللذين يكبرانه، إلا أن سعدون لم يشغل باله بهذا الموضوع، وكلما عرف من والدته أن والده الحاج كيلاني يبحث له عن عروس؛ وخاصة أن بنات العائلة اللاتي في سن الزواج كلهن تزوجن؛ يتحجج بالسفر للقاهرة لإنجاز بعض الأعمال الخاصة بقيده بنقابة المحامين، أو خلافه من الحجج التي يخترعها ويقنعه بها.

عرض الحاج كيلاني أمر بحثه عن عروس تليق بابنه سعدون على أصدقائه ليدلوه عن عروس تليق بابنه من القبائل والعشائر الأخرى، فرحبوا بذلك، خاصةً أن الحاج كيلاني من كبارات البلد والكل يحترمه لقوة شخصيته، علاوة على أنه من أكبر تجار الحبوب.. وبعد فحص وتمحص وقع اختياره على رابحة بنت الحاج شمندي من كبارات إحدى القبائل المجاورة، فهي تليق بابنه حسبًا ونسبًا، فالحاج شمندي من أكبر تجار البلح

على مستوى بر مصر، فهو يملك من أشجار النخيل ما لا يرمقه بصر ولا يحصى عدذاء وابنته رابحة التي لم تبلغ السادسة عشر من العمر لم تستكمل دراستها فقد حصلت على الابتدائية، ووفقًا لقانون الحاج شمندي فهو يرى أنه عندما تبدأ أنوثة البنت في الظهور يجب أن تبقى بالمنزل لتنضج على مهل بعيدًا عن عيون الشمس المحرقة، وهكذا فعل مع أخواتها الثلاث حتى تزوجن، وقد كان مُحقًا، فجمالها الفرعوني تراه في عينيها وخديها يلمعان كما المرآة، إذا جلست كأنها الملكة، وعندما تمشي فلا تنزعج الأرض من خفة قدميها، تتحدث على قدر ما تسأل، وصوتها تكاد تسمعه.

وعندما فاتح الحاج كيلاني الحاج شمندي في أمر زواج ابنه سعدون من رابحة؛ رحب ووافق على الفور، واتفقا في كافة الأمور، ولم يتبقَ إلا حضور العريس وكبارات العائلتين لقراءة الفاتحة وتحديد موعدًا للزفاف، وقد كانت هذه هي المرة الأولى التي تتزوج فيها إحدى بنات عائلة شمندي من خارج القرية، وكان هذا من حسن حظ الحاج كيلاني إذ ليس بالقرية شاب لم يتزوج بعد ولا يوجد من هو حتى أقرب لسن رابحة أو يكبرها والوحيد الذي كان من الممكن أن يتزوجها هو ابن خالها ويعمل بإحدى البلاد العربية وقد خرج عن المألوف فتزوج من شقيقة أحد الأصدقاء الذين يعملون معه هناك، وقد انقلبت عليه العائلة وأصبح من المهمشين عائليًا.

عاد الحاج كيلاني لبيته ليزف الخبر لزوجته، وعلى الفور أمر بسفر أكبر أبنائه للقاهرة ليخبر سعدون ويحضره معه، فهو يعرف أنه لن يحضر إلا في وقفة العيد؛ أي بعد أكثر من شهر؛ ويعتبر ذلك وقتًا طويلاً.

وما أن وصل شقيقه وفاتحه بقرار والده؛ رفض سعدون هذا القرار وأعلن العصيان، وبعد مناقشات مضنية وافق أن يسافر على أن يقنع والده بعدم رغبته في الزواج في الوقت الحالي فهو يريد أن يفتتح مكتبًا للمحاماة وأن يكون مشهورًا، كما أنه ينوي أن يستكمل دراسته لنيل الدكتوراه، وكل هذه الأمور تحتاج لتفرغ كامل دون أن يشغله شاغل، والزواج في حد ذاته سيكون أكبر شاغل له، وحتى لو فكر في الزواج يجب أن تكون عروسه متعلمة وبدرجة عالية.

وصل سعدون لبلدته، وما أن رآه والده ظهرت علامات الرضا والفرحة على وجهه، إلا أن سعدون لم تظهر على وجهه أي علامات تدل على فرحته بالزواج... بادره والده:

- حمد لله على سلامتك، شايفك مش فرحان؟.

- إزاي مش فرحان وأنا وسط ناسي.

- أخوك قال لك على العروسة؟.

- أيوه قال لي.

- وإيه رأيك؟.

- يا حاج أنت عارف إني عايز أكون حاجة تانية، يعني عايز أكمل تعليمي لغاية الدكتوراه.

- وإيه يمنع، هو الجواز ها يمنع عنك الدكتوراه؟.

- مش قصدي، لكن أنا شايف أنه لسه بدري لحد ما أدبر نفسي.

صمت الحاج كيلاني ونظر لسعدون باستياء وقال:

- تدبر نفسك في إيه يا ولدي؟.

- قصدي أدبر مكان، وده مش سهل.

- مكان إيه اللي أنت عايز تدبره، المكان هنا واسع وزي أخواتك عايشين ومبسوطين والخير كتير، ولا عندك كلام تاني؟.

- أنا قصدي أنى أدبر مكان في القاهرة.

- ليه هو أنت ناوي تعيش هناك؟.

- علشان أكمل الدراسة يبقى لازم أكون هناك.

- يعنى ناوي تهجر البلد وناسك.

- غايتي وعايز أحققها.

وقف الحاج كيلاني منفعلاً ووجهه يعلوه الغضب وخرج تاركًا سعدون وشقيقيه.

صمت يخيم على المكان.

حاول أحد أشقائه أن يتكلم معه فأزاح وجهه عنه، وأسرعت والدته خلف والده وخرج خلفها شقيقاه، وجلس سعدون وحيدًا

محدثًا نفسه يفكر في حلّ لهذه الورطة التي ستحول بين استكمال تعليمه.

لا يوجد مخرج... هكذا قال في نفسه، فوالده يصر على زواجه، كما أنه لم يرَ عروسه، هل ستكون جميلة مثل بنات القاهرة؟ أم أنها على هوى والده؛ والبنات عنده كلهن جميلات طالما من عائلة ذات حسب ونسب وجاه ومال.

تساءل: ماذا أفعل هل أرفض رفضًا قاطعًا وأواجه والدي؟ ولكنه سوف يغضب غضبًا شديدًا.

ظل هكذا محتارًا إلى أن دخلت والدته، جلست حزينة، الدموع تنساب من عينيها، قام وتقدم ناحيتها، قبّل يديها فقالت له:

- أبوك أتفق مع الحاج شمندي وأنت عارف يعني إيه اتفاق الرجال يا ابني.
- أنا عارف يا يُمه، بس أبويا كان لازم يقول لي قبل ما يتفق.

بادرته قائلة:

- تقصد كان لازم ياخد مشورتك، ومن متى أبوك بياخد مشورة حد منكم، ما أخواتك اتجوزوا ولا أخد مشورتهم ولا يحزنون، كلامك واعر ومش داخل دماغي، أنت لازم غويت من القاهرة صح يا ولدي؟.
- يا يُمه أنا لا غويت من القاهرة ولا في نيتي الجواز من أصله، أنا عايز أشوف مستقبلي.

- وأبوك، وكيف يكون بين الناس، ده كبيرهم، أنت عايزه يقع ويطب ساكت.

- يا يُمه لا يقع ولا يطب بإذن الله، أنا كنت بأقول أروح معاه ونعتذر للحاج شمندي.

هبت والدته واقفة وخبطت صدرها بيدها قائلة:

- يروح يعتذر! أنت عارف مين الحاج شمندي يا ولدى.

- يا يُمه عارف، وعارف كمان أن ده صعب على أبويا.

- لما أنت عارف كده عايز أبوك يطاطى راسه ليه بين الناس؟، إنت باين عليك اتخبلت في عقلك من قعدتك لحالك.

صمت سعدون ولم يتكلم... قامت والدته وجلست بجانبه واحتضنته وقالت له :

- قوم يا ولدي وروح قبل يد أبوك اللي عايز يفرح بيك قبل ما يلاقي ربه.

- أقبل يده آه، ولكن موضوع الجوازة دي مستحيلة.

- دماغك ناشفة يا سعدون، وأبوك دماغه أنشف منك والحكاية مش ها تعدي بسهولة.

- يبقى أسافر من غير ما أقول له.

- مش قلت لك إنك اتخبلت في عقلك، إنت عايز أبوك يغضب عليك ليوم الدين.

- أنا عارف أبويا ها يقدر يتصرف.

- أبوك ها يتصرف كيف؟ هي الحكاية بسيطة زي ما أنت شايفها، وبعدين هو أنت شفت العروسة علشان ترفض، البنت زينة وقمر ومليحة كمان.

- البنات هنا قطعية واحدة، دماغهم مش ها تمشي مع دماغي يعني ما تفرقش.

- يعنى ما فيش فايدة في الكلام معاك.

بكت والدته بحرقة وراحت دموعها تسيل على خديها، وما أن رآها سعدون وكانت هي المرة الأولى التي يرى فيها أمه تبكي فتسمرت قدماه وارتعشت شفتاه وصمت عن الكلام فقد رأى مرارة الأسى وهي تصبغ وجه أمه فصار شاحبًا فأحس بأن رفضه للزواج سيقضي عليها وشعر بتأنيب الضمير، فنظر إليها وهي تجلس على الكنبة وقد دست رأسها بين كفيها وتقدم إليها واحتضنها وأخذ يقبّل رأسها وبنبرة حزينة قال لها:

- بتبكي ليه يا يُمه هو حزن ولا فرح؟ أنا موافق على الجواز.

وهنا استردت أمه وعيها وانفرجت أساريرها.

عمت الأفراح أنحاء البلد وتزوج سعدون من رابحة.

أقنع سعدون والده بعد ذلك بأن يقطن بالقاهرة ونزح هو ورابحة، وانشغل هو بمكتبه ودراسته حتى حصل على الماجستير، وانشغلت هي في الحمل والولادة، إلا أنه لم يشعر بأي مشقة مادية رغم دخله المتواضع من المكتب فالدعم

المتواصل من بيت والده والحاج شمندي والد زوجته يتزايد كلما وصل خبر ولادة حفيد جديد.

ودارت رحى الحياة سعدون يجتهد حتى حصل على الدكتوراه في القانون، ورابحة تجتهد في الحمل والولادة حتى وصل العدد إلى ثلاثة أولاد وبنتين، وأصبح سعدون من مشاهير المحامين وتسند إليه القضايا الشائكة، علاوة على كونه مستشارًا قانونيًا لكثير من الشركات، وأصبح يومه مشحونًا بالعمل، سواء نهارًا بالمحاكم، أو ليلاً بمكتبه ولساعات متأخرة لقراءة ملفات القضايا وإعداد مذكرات المرافعة فهو يحب أن يتابع كل شيء بنفسه رغم وجود عدد لا بأس به من المساعدين بمكتبه...

إلى أن جاء يوم أحس بتعب شديد نتيجة الإرهاق المستمر، فنصحه الطبيب بقسط من الراحة الحتمية وإلا كانت العاقبة وخيمة.. وعلى غير العادة لم يغادر فراشة في الثامنة صباحًا فتيقنت رابحة أن به مكروهًا فسألته:

- خير يا أبو عبد الرحمن، طول الليل حاسة بك قلقان.

- لا ما فيش حاجة، حسيت بشوية تعب في المكتب عديت على دكتور معرفتي ونصحني أريح كام يوم في البيت.

ورغم قلق رابحة عليه إلا أنها أحست بفرحة لأنه سيمكث معها لفترة حيث أنها لا تراه إلا ليلاً وكثيرًا ما تشعر به فقط عندما يلقى بجسده على السرير منهكًا ولا تتذكر كم من المرات تناول

معها الغداء أو العشاء، وأن أخر مرة تحدثت معه الجمعة الماضية لتخبره بوفاة أحد الأقارب بالبلد، وأنها اعتذرت بالنيابة عنه وأنهم قدروا مشاغله، وهو أيضًا بعيدًا عن مسئولية تربية الأولاد يراهم أحيانًا صباح كل يوم جمعة بالكاد ساعة أو ساعتين قبل انصرافه للمكتب لمتابعة قضايا يوم السبت، وتعتبر الأعياد هي أكبر وقت يقضيه بالمنزل، ولكنه يقضي معظمه في قراءة الملفات التي يحضرها معه من المكتب... وتعودت رابحة على ذلك، فهي المسئولة عن كافة أمور المنزل ويساعدها شقيقها سليم الذي انتقل للعمل بالقاهرة ويقطن بالقرب منها وترمي على عاتقه كافة الأمور، وهذا ما شجع سعدون ابتعاده عن أمور البيت ومسئولياته.

جلست رابحة وسعدون يتناولان طعام الإفطار، فمنذ فترة طويلة لم يجلسا سويًا فسعدون يتناول إفطاره يوميًا بمكتبه.. تبادلا الحديث عن أهل البلد فهي التي تعرف الأخبار أولاً بأول عن طريق التليفون أو عن طريق الأقارب الذين يحضرون من آنٍ لآخر، أخذ ينظر إليها وهي تتحدث، رمقها من أعلى لأسفل، أخذ يدقق فيها، لقد مرَّ زمن ولا زالت تحتفظ برشاقتها وجمالها، فقط تلونت بعض خصلات شعرها الأسود الناعم باللون الأبيض فصارت كأسلاك الفضة فأكسبته بريقًا ولمعانًا.

انتقلا للجلوس بالبلكونة المطلة على الشارع، جلست بجانبه سعيدة بهذه اللحظات التي افتقدتها منذ فترة، فهي لا تتذكر كم من السنين مرت منذ أخر مرة جلسا سويًا.

نسمات هواء الصيف تداعب الستارة المعلقة على البلكونة لتحجب الجيران وأشعة الشمس التي اغتنم شعاعها الفرصة لينفذ من أحد الجوانب ليسقط بنوره على شعر رابحة فيعكسه على وجه سعدون فتظهر بوضوح قسمات وجهه الشاحب وعينه المكحلة بهالات سوداء.

سرحت رابحة لحظات وهي تنظر إليه فقال لها:

- والله زمان يا رابحة، وحشتني القعدة في البلكون.

- البلكونة موجودة، بس إنت اللي مش موجود.

نظر إليها وابتسم قائلاً:

- الود ودك أقعد في البيت شهر ولا أتنين.

- يا ريت يا أبو عبد الرحمن، العيال مبسوطين أنك ها تقعد معاهم كام يوم.

- طبعًا قلتي لهم إني عيان.

- بعد الشر عنك، أنا قلت لهم إنك واخد أجازة يومين.

سمع رنين تليفونه المحمول فقام وأحضره وكانت على الخط إحدى موكلاته فسمعته رابحة يتحدث معها بكلام لم تسمعه منه من قبل وبلغة غريبة عليها وكأنها تشاهد حوارات الغزل في

الأفلام والمسلسلات التلفزيونية، ونسي نفسه وظن أنه بمكتبه وظل يصول ويجول في منحنيات ودروب موكلته ورابحة تتابع بدهشة وعلى استحياء إلى أن أنهى حديثه فتذكر أن رابحة بجانبه فنظر إليها مبتسمًا محاولاً إخفاء علامات الحرج التي كست وجهه فأخذ يفهمها أن عمله في بعض الأحيان يتطلب مثل هذه المجاملات، فهزت رأسها ولم تبال ودعت له بالتوفيق، وقامت لترتيب المنزل، وأحضر هو شنطته واستخرج منها بعض ملفات القضايا وأخذ يطالعها، فلفت نظرة أثناء تصفحه لتحقيقات النيابة في قضية قتل أن القاتلة قالت في أسباب إقدامها على قتل زوجها - وكان رجل أعمال مشهور - بأنها عاشت معه طيلة خمسة عشر عامًا لا تسأله عن إهماله لها ولأولادها وكانت تعزي نفسها بأنه مشغول في شركته ليحقق طموحاته حتى أصبح من رجال الأعمال المشهورين وانشغلت هي في تربية أولاده ومتابعتهم بالمدارس ودروسهم الخصوصية وخلافه، كما أنها لم تطلب منه يومًا ما أن تتنزه معه، وحتى المصيف كانت تقضيه مع أولادها، ولم يحضر لها أي هدية منذ سنوات، ولم يتذكر عيد زواجه ولا عيد ميلادها، وفى كثير من الأحيان لا تراه لمدة تصل لأسبوع أو أكثر، ولم تسأله عن حقوقها الشرعية ونسيت أنها امرأة.. وأنها قتلته ولا تنكر، فهو الذي دفعها إلى ذلك بإهماله الشديد لها، مما جعلها تستسلم لجارها بالشقة التي أمامها والذي أخذ يراودها عن نفسها إلى أن رضخت له..

ولكنها عندما اختلت مع نفسها أحسَّت بالخطيئة والندم مما جعلها تصمم أن تقتله لأنه السبب فيما فعلته من خطأ من أكبر الكبائر بعد أن دنست ثوب حياتها الأبيض.. فدست له السم في القهوة بعد أن استدرجته للحضور بحجة مرضها.. وأنها غير نادمة على ذلك.

انتهى سعدون من قراءة ملف القضية وسرح، واتجه تفكيره نحو علاقته برابحة وأولاده، وأخذ يتجول بخاطره في أدوار المنزل الثلاث ومن يقطن بكل شقة، واستراح عندما تذكر أن جاره الذي يقطن أمامه رجل عجوز يعيش مع زوجته ويحتاجان لمن يسأل عنهما، وراوده الشك عندما تذكر أن رابحة لم تُبدي أي رد فعل عندما كان يتحدث مع موكلته واكتفت بأن قالت له ربنا يوفقك، إذن فهي لا تعير لذلك اهتمامًا.. وأخذ يسأل نفسه هل هي ليست كأي امرأة تقتلها نار الغيرة؟ أم أن هناك من يشغل بالها غيري؟ هل هناك فعلاً شخص آخر، ومن هو؟ هل من أقاربها أو أقاربي الذين يحضرون من آنٍ لآخر؟... لا أظن ذلك.

وظل سارحًا بأفكاره تلاعبه هواجسه، إلى أن جاءت رابحة حاملة فنجان من القهوة فنظر إليها بدهشة فهو لم يطلب منها أن تعد له القهوة وناولته الفنجان وهي تبتسم وذهبت، فأمسك بالفنجان وراح يتشممه، ثم وضعه على الترابيزة ودار بنظره

فوجدها جالسة تقوم برضاعة صغيرها فلمحته وهو ينظر إليها فقالت له:

- هل أعجبتك القهوة؟.

- أنا لم أطلب منكِ أن تعملي لي قهوة وأنا لا أحب البن المحوج.

اندهشت رابحة من كلام سعدون فقالت له:

- كيف وأنت تعشق القهوة المحوجة فأنت الذي تحضر هذا البن معك وأخر مرة شربت منه يوم الجمعة الماضية.

- كنت، ولكنني أكره القهوة حاليًا، ثم أن الدكتور نصحني بعدم شربها.

قامت رابحة وأخذت فنجان القهوة وذهبت إلى المطبخ وسكبته وغابت عنه، فتيقن إنها زعلت منه، نادى عليها ليطيب خاطرها فلم ترد، فقام وبحث عنها فوجدها جالسة بالمطبخ تبكي، فسألها عن سبب بكائها فلم ترد، وكرَّر عليها السؤال دون جدوى، فتركها وعاد ليتابع قراءة ملفات القضية.

وجاء ميعاد الغداء فأحضرت بعض الأطباق ووضعتها على الترابيزة التي أمامه، وما أن رأى ذلك سألها عن الأولاد فقالت إنهم وهي سيأكلون فيما بعد فور عودتهم من الدروس الخصوصية، فنظر إلى الأطباق المرصوصة وتفحصها، وانتهز فرصة عدم وجودها وأخذ يتشممها، ثم نادى عليها وقال لها إنه سينتظر الأولاد ليأكل معهم، فقالت له إن الأولاد سيتأخرون كثيرًا

فصمت للحظات ثم طلب منها أن ترفع هذه الأطباق من أمامه متحججًا بأنه لا يشعر بالجوع حاليًا، فنفذت أوامره وتركته وذهبت.

عاد سعدون لهواجسه مرة أخرى وأخذ الشك يسيطر على تفكيره وتملك منه، فأخذ يسأل نفسه: " هل يمكن أن تفعلها رابحة وتدس له سما في الطعام ؟".

قام وذهب لغرفة نومه واستلقى على السرير محاولاً الهروب من هذا الشك المريب الذي تملكه.

رنَّ جرس تليفون المنزل، فقام وواربَ باب غرفة نومه ووقف خلفه متصنتًا على المحادثة، فسمع رابحة وهي تقول للمتحدث ألا يحضر اليوم لوجود ظرف طارئ، وأنهت المكالمة بسرعة فخرج مسرعًا وقال لها:

- من كان على التليفون؟.

- إنه السباك.. لقد اتفق معه أخي سليم لعمل بعض الإصلاحات بدورة المياه وكان موعده اليوم.

- ولماذا لم يحضر؟.

- كيف يحضر وأنت موجود فسوف يقطع المياه.

- ولماذا لم يحضر معه سليم؟.

- كان سيحضر والسباك اتصل ليؤكد الميعاد فاعتذرت له.

فنظر إليها والدم يغلي في عروقه وقال لها :

- هل الأغراب يدخلون البيت بدون وجودي؟.

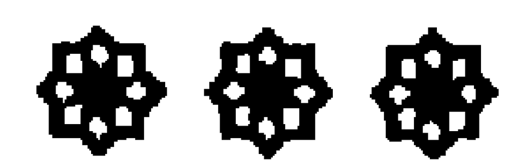
- كيف يا سعدون وسليم أخي سيكون موجودًا، واطلبه بالتليفون وأسأله.

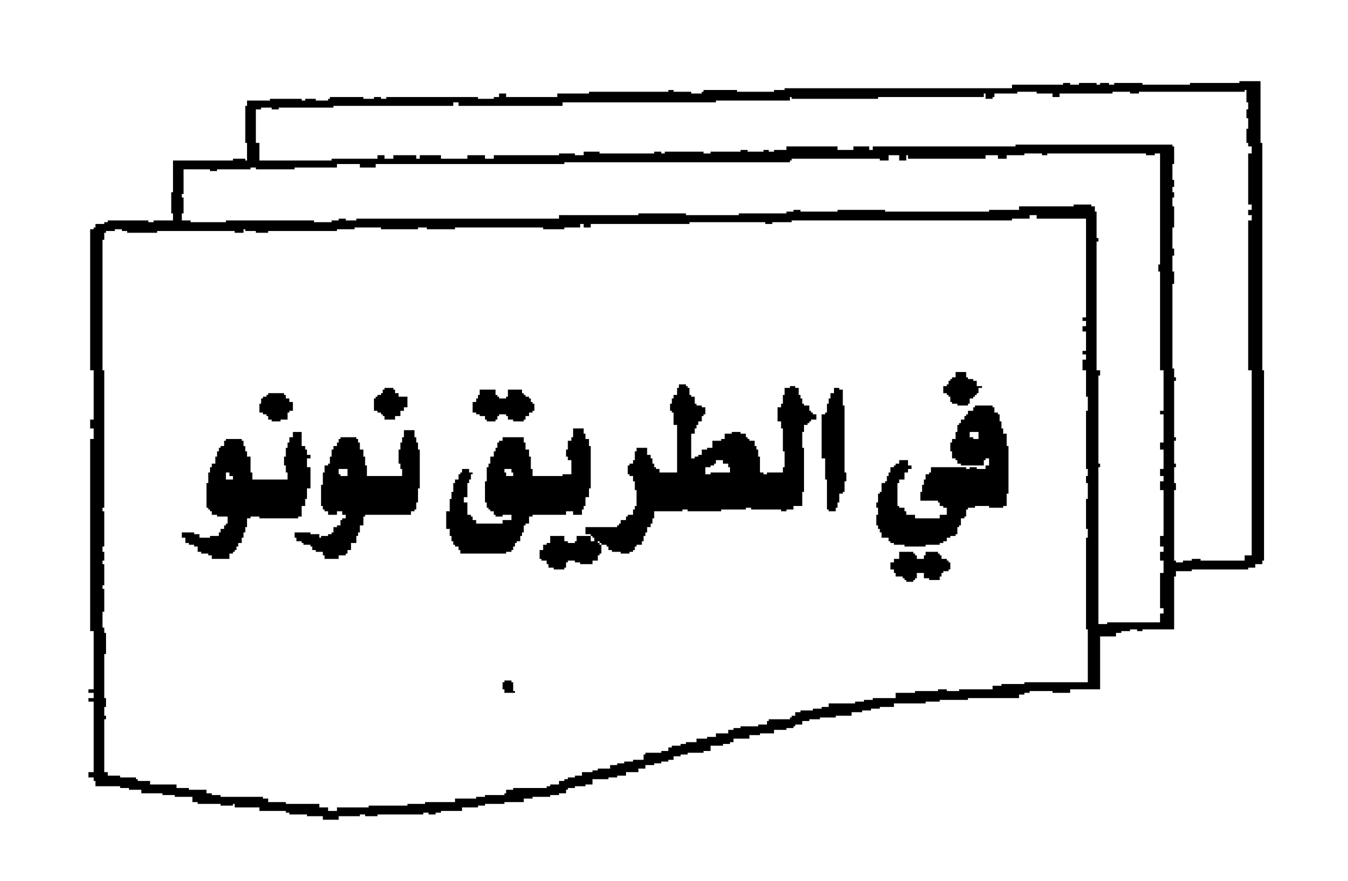
- أنا لا أسأل أحدًا، أنا بأسألك أنت.

- خبر إيه يا سعدون !على فين راح بالك؟.

نظرت رابحة لسعدون وبدأت الدموع تنهمر بغزارة من عينيها وذهبت مسرعة من أمامه واتجهت لغرفة نومها، فأسرع خلفها وأمسك بها وظل يعنفها بشدة، ولأول مرة يرتفع صوته بالبيت بعد أن كان ساكنًا لسنوات، وفجأة خارت قواه وأحس بإرهاق شديد وبدأ العرق يتصبب منه بغزارة.. حاول أن يتماسك فلم يستطع فألقى بنفسه على السرير..أمسكت رابحة بيده تتحسسها فوجدتها باردة، وبسرعة اتصلت بشقيقها سليم ليحضر الطبيب أو الإسعاف.. وظلت تدلك بيدها صدره وهو يحاول جاهدًا - دون جدوى- أن يمد يديه المرتعشتين ليبعد يديها عنه متخيلاً أنها تريد أن تخنقه.. وبجانبه كان رضيعها يصرخ بشدة فلم تعره انتباهًا.

حضر شقيقها سليم ومعه الطبيب؛ ولكن بعد فوات الأوان؛ فقد مات سعدون، وغطى صراخ رابحة على صراخ رضيعها.





في الطريق نونو

استيقظت عنايات من نومها على آلام في البطن ودوخة وغثيان وبسرعة ذهبت إلى الحمام واستمرت في القيء لمدة طويلة، ووقف وراءها بناتها يشددن من أزرها، وسألتها إحداهن إن كانت تناولت شيئًا بعد العشاء، فأشارت بالنفي، فأسندنها حتى جلست وأعددن لها كوب من النعناع الساخن، وما أن شربته أحست مرة أخرى بالميل للقيء، إلا أنها تمالكت نفسها...

وفي هذه اللحظات أستيقظ زوجها المعلم عكاشة ورآها تجلس بهذه الصورة وحولها البنات فأحس أن هناك شيئًا ما يحدث، وقال في نفسه: "اللهم أجعله خير"، فسأل وعرف، وكان رده بأنه برد في المعدة ونبَّه على بناته بألا تأكل شيء سوى السوائل وسيرسل في الصباح مع أحد صبيانه الفول النابت ليكون هو طعامها طول اليوم، فنظرت إليه وقالت في تعجب:

- فول نابت!.

- أيوه فول نابت وبس، ولا تقربي لأي نوع تاني من الأكل.

وانصرف الحاج عكاشة لحال سبيله، ولم تمر ساعة إلا وعاودتها الآلام مرة أخرى، ولكن هذه المرة بصورة أشد وبسرعة، قامت إحدى بناتها باستدعاء جارتهم زنوبة صديقة عنايات الحميمة، وما أن دخلت نظرت إليها وقالت لها:

- دايمًا محسودة مش سيبينك في حالك.

فردت عليها بصوت ضعيف ممزوج بالأنين:

- على إيه، ما خلاص راح الجمال بتاع زمان.

فقالت لها زنوبة وهي تحتضنها وتقبلها:

- ما قلت لكِ بلاش تروحي تزوري جمالات وإنتي لابسة العباية الجديدة، هي اللي حسدتك، دي ست عينها تفلق الحجر.

وقامت زنوبة بمساعدة البنات بنقل عنايات إلى غرفة نومها وطلبت المبخرة وقامت برقيتها، إلا أنها شعرت بالضيق من الدخان والميل للقيء مرة أخرى، فنظرت إليها زنوبة بابتسامة عريضة ومالت عليها وتحدثت معها بصوت غير مسموع وكأنها تسألها عن شيء ما لا تريد أن يسمعه البنات... وهنا وقفت زنوبة وأطلقت زغرودة مبحوحة ونظرت للبنات وقالت:

- مبروك أمكم حامل، دي كلها علامات الحمل.

فنظرت إليها عنايات باستغراب وقالت:

- جرى إيه يا زنوبة، هو إنتي اتجننتي معقول أحمل في السن ده؟!

فنظرت إليها زنوبة وهي تبتسم وقالت:

- ربنا قادر على كل شيء، إنتي مش فاكرة الست الخواجاية اللي كانت في الجورنال اللي حملت وهي عندها ستين سنة، وأمي الله يرحمها قالت لي إن ستي حملت في خالتي الصغيرة خيرية وكان سنها فوق الستين.

تحسست عنايات بطنها فوجدتها منفوخة، فطلبت أن تقف فأسندتها زنوبة، شدت عنايات الجلابية التي ترتديها إلى الخلف ونظرت لبطنها فضحكت زنوبة بصوتٍ عالٍ وقالت:

- بتشوفى إيه يا عنايات هي دي أول مره تحملي ولا إيه؟! وربنا يعوض عليكى بالواد اللي نفسك فيه علشان تسميه دحروج على اسم أبوكي الله يرحمه، ولو كانت بنت والنبي تسميها زنوبة على اسم حبيبتك.

وأصدرت زنوبة أوامرها للبنات بإحضار جوز فراخ عتاقي من على السطح لتذبحهما قبل ما تنصرف.

وما أن غادرت زنوبة حتى كان خبر حمل عنايات يتردد في كل منزل بالحي حتى وصل لورشة الحاج عكاشة فاندهش وتعجب، وما زاد من حيرته قوافل المهنئين من المعلمين أصحاب الورش والمقاهي والمحلات.. وأصبح الحاج عكاشة في لمح البصر أسطورة في الحي وأطلق عليه شباب المنطقة "الشاب عكاشة" واضطر لترك الورشة والذهاب لمنزله ليتحرى الأمر، فوجد

عنايات مستلقية على السرير وبجانبها بناتها، فنظر إليها ووجهه يعلوه علامات الدهشة وسألها:

- إيه الكلام اللي داير في الحتة ده، فهميني إيه الحكاية؟.

فنظرت إليه وهي تبتسم ثم أدارت وجهها تجاه بناتها وقالت:

- هى زنوبة ما بيتبلش في بقها فولة.

- سيبك من زنوبة دلوقتى، وفهميني إيه القصة، الناس رايحة جاية تبارك لي.

- حكمة ربنا وهو القادر على كل شيء وها يعطيني الولد اللي نفسك ونفسي فيه.

- إنتي باين عليكي اتجننتي، إنتي ناسية عندك كام سنة!. عمومًا نروح نكشف عند الدكتور.

فنظرت إليه نظرة خاطفة ثم أدارت ظهرها عنه وقالت بسخرية:

- علشان إيه الدكتور، هو أنا مش عارفه نفسي هي دي أول بطن! كلها كام يوم والتعب يروح.

فأخذ الحاج عكاشة يضرب كفًا بكف متعجبًا من تمسك عنايات بأنها حامل، وغادر المنزل وهو في حالة يرثى لها.

وعاشت عنايات بأحلامها رغم الآلام التي تشعر بها ليلاً ونهارًا ولا يمر يوم إلا وتتحسس بطنها وتشعر بسعادة بالغة عندما تراها تزداد انتفاخًا.

بدأت المشاكل تدب في منازل الحي بسبب حمل عنايات فالسيدات اللائي في سن عنايات ظهرت عليهن مظاهر النظافة وزاد الإقبال على أحمر الشفايف وريحة السبع سبعات والحنة السوداني والجاز الذي ارتفع سعر اللتر منه إلى الضعف، وعادت أم سيد البلانة لمزاولة نشاطها القديم بعد أن تركته سنين لتبيع العسلية...

وعلى الجانب الآخر كان التوتر ظاهرًا على الرجال بالحي، وأصبح البعض يتهرب من الرجوع للمنزل في المواعيد المعتادة، أما البعض الآخر فاعتمد على الحاج سليمان العطار والخلطات السحرية التي يتفنن في صنعها، أو على أجزخانة إلياس بحثًا عن الحبوب والمنشطات.. وجميعهم في نهاية الأمر يدعون على الحاج عكاشة، فقد كانوا يعيشون في هدوء وينعمون براحة البال مكتفين بذكريات أيام الشباب والفحولة، فقد ضاعت منهم الهيبة، فالمعلم حريشة الجزار والذي يشبه العجل البتلو كان لا يتحدث إلا ويسبقه الساطور وصوته يهز جدران الشقة عندما يتحدث مع زوجته وأولاده؛ أصبح الآن كالنعجة، واختفى صوته، وارتفع صوت زوجته، فما من ليلة إلا ويسمعها من بالشارع وهي تعنفه وتعايره على عدم قدرته.

وانقلب الحال، وزادت الغيرة في نفوس سيدات الحي، فأم حلمي الحلاق؛ والتي جاوزت الثمانين من عمرها وأصبحت هي

وزوجها كالهياكل العظمية الآيلة للسقوط؛ تقف في البلكونة يوميًا وتمشط شعرها المنحول بعد أن تبلله بالماء لتكيد سلفتها التي تسكن أمامها، وكان من نتيجة ذلك أصابتها بنزلة شعبية حادة طرحتها بالفراش لأجل غير مسمى...

أما المعلم محروس صاحب مقهى السلطنة فأراد أن يستفيد ويفيد فقام باستقطاع جزء من المقهى وحوله إلى مكان يعمل بعد الساعة العاشرة مساء حيث وضع فيه جهاز فيديو لعرض أفلام الجنس وحدد سعر الدخول مع مشروب القرفة بخمسة جنيهات.

وبعد أن كان الإقبال على مسمط البهريز لصاحبه المعلم عطية؛ شبه معدوم بسبب تحول أهل الحي لمطاعم البيتزا والفراخ المشوية، أصبحت وجبة الكوارع والفتة هي أهم وجبة يتناولها أصحاب الورش والمحلات، مع خدمة التوصيل للمنازل.

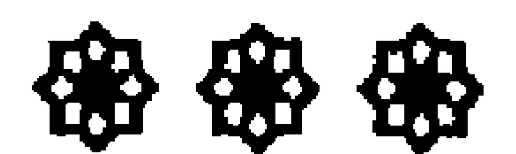
وانقلب حال الجميع... فالرجال يبحثون عن إثبات الذات.. والسيدات ينتظرن متلهفات.

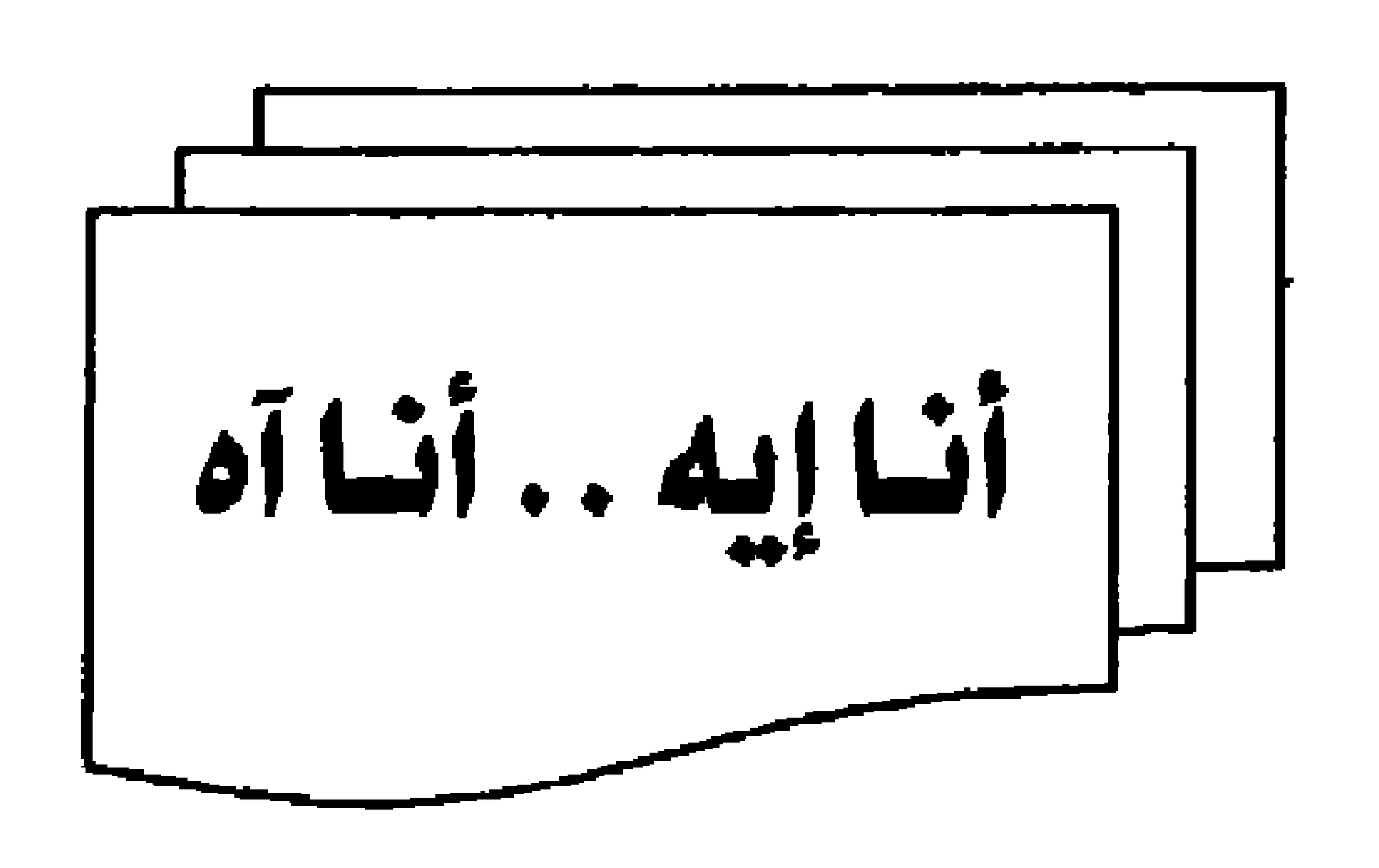
ومرَّت الأيام، وعنايات مازالت تعيش السعادة المؤلمة، فلم يتركها الألم ولم تذق طعم النوم، ورفضت كافة محاولات الحاج عكاشة وشقيقها للذهاب للدكتور...

وذات ليلة استيقظ جميع من في المنزل على صراخ عنايات المتواصل، ووجدوها في حالة سيئة جدًا، فظن بناتها إنها في حالة ولادة، إلا أن صراخها المستمر والآلام المبرحة التي جعلتها تتلوى صارت شيئًا لا يطاق، فقام زوجها على الفور باستدعاء الإسعاف، وتم نقلها للمستشفى، وعلى الفور كانت في غرفة العمليات، وظلت بها لأكثر من خمس ساعات.. فقد كانت تعاني من وجود ورم حميد وصفه الأطباء بأنه يزن أكثر من عشرة كيلو جرامات، وكان من الممكن أن يؤدي إلى عواقب وخيمة.

وقفت زنوبة في الطرقة المؤدية لغرفة العناية المركزة وحولها جمع كبير من سيدات الحي جئن للاطمئنان على عنايات.. مالت زنوبة على إحداهن وهمست قائلة:

- عنايات فاكرة نفسها لسه صغيرة وأنا اللي كبيرة، ده أنا أصغر منها بخمس سنين بس الزمن.. والمصيبة إنها صدقت نفسها بأنها حامل بعد العمر ده كله.





▪ أنا إيه...

أنا طارق خريج هندسة قسم عمارة من سنتين وبتقدير جيد جدًا دخت السبع دوخات لغاية لما لقيت شغل، تقدر تقول بعد تلاتين أربعين إعلان وأروح وآجي ومقابلات، وأنت كويس، واتفضل دلوقت، وها نتصل بيك، وكلها ابتسامات في ابتسامات.. وأخيرًا ربنا فرجها عليا.

استلمت العمل في شركة تقدر تقول كويسة والمرتب معقول، هو أنا ها أتبطر على النعمة من أولها؟، صاحب الشركة وعدني لو استمريت وشغلى عجبه ها يرفع مرتبي. شغلي كان متابعة الأعمال المنجزة في المشروعات وتقييمها، ومراجعة مستخلصات المقاولين.. زملائي في العمل ثلاثة: شابان وآنسة، هي أيضًا خريجة هندسة بس من أمريكا.. باهر ويعمل بالشركة منذ أكثر من عامين ومتزوج.. وأحمد يعمل منذ سنة تقريبًا وخاطب.. أما شذى فهي حديثة التعيين يعني متخرجة هذا العام واتعينت بواسطة كبيرة؛ ده اللي عرفته من أحمد وباهر؛ وتأكد لي ذلك من السيارة الفارهة التي تركبها ويقودها سائق خاص..

الشيء الملفت للنظر أنها ليست جميلة بالمرة، أما ما يميزها فهو هذا الشعر الطويل الأسود كذيل الخيل ومرحها وخفة دمها وصوتها الناعم الذي بالكاد تسمعه، ده غير الشياكة التي تنفرد بها؛ فكل يوم تغير من ملبسها، علاوة على كرمها فلا يمر يوم إلا وتحضر معها صباحًا بعضًا من الكيك أو البسكويت، ده غير الشيكولاتة الفاخرة التي تحتفظ بها دائمًا بمكتبها.

مرَّ حوالي الشهر وجاءنا أحمد بنبأ موعد زواجه يوم الجمعة القادم، وكانت شذى أول المهنئين له، وشدد على ضرورة حضورنا الفرح حيث أنه سيكون في بلدته بمحافظة القليوبية، أعتذر باهر بسبب قرب موعد ولادة زوجته،وحاولت أنا الاعتذار بحجة عدم وجود سيارة معي وبُعد المسافة، ولكني اندهشت عندما قالت شذى:

- ما تشغلش نفسك بالمواصلات ها نروح سوا بالعربية.

علامات السعادة ظهرت على وجه أحمد وقال:

- أظن كده مالكش حجة يا باشمهندس طارق، ولو أن المسافة مش بعيدة، وما تنسوش إحنا الفرح عندنا بيبدأ بعد صلاة العصر على طول مش زي عندكم هنا.

قلت لشذى:

- تحبي نتقابل فين وإمتى؟.

- ما تتعبش نفسك اكتب لي عنوانك بالضبط وأنا ها أفوت عليك.

حاولت أن أتهرب من كتابة عنواني بكل الطرق، إلا أن محاولتي باءت بالفشل نتيجة إصرارها فقد كنت لا أود أن تعرف عنواني فأنا أسكن في منطقة شعبية وفي شقة ليست كبيرة في إحدى المساكن الشعبية وقد حصل عليها والدي عندما كان يعمل في الإصلاح الزراعي.

جاء يوم الجمعة، وبعد أن أديت الصلاة ارتديت ملابسي وبقدر المستطاع كان شكلي حلو، وده كان رأي والدتي أيضًا عندما وجدتني أقف فترة طويلة أمام المرآة، فوالدتي بعد وفاة والدي أخذت على عاتقها أن تقوم بتربيتنا كويس أنا وإخوتي البنات وهما اثنتان أكبر مني سنًا، هيام خريجة كلية الآداب متزوجة وسافرت مع زوجها للإمارات وهو طبيب، أما نجلاء خريجة إعلام ومتزوجة من ابن عمي ويعمل في مجال السياحة بالغردقة، وتعيش هي وزوجها هناك.

وقفت بالبلكونة منتظرًا شذى في الموعد المحدد وها هي تأتي بسيارتها ويقودها سائقها الخاص، نزلت مسرعًا وهممت بأن أفتح باب السيارة الذي بجانب السائق، ولكنها بادرتني قائلة:

- اتفضل بجانبي يا باشمهندس.

جلستُ بجانبها، ابتسمتْ لي فقلت لها:

- المشوار كان صعب وخاصة إنك جاية من مدينة الرحاب.

- لا أبدًا، الطريق كويس علشان النهاردة الجمعة.

جلستُ بجانبها صامتًا أنظر لجانبي الطريق، وانشغلت هي بإحدى ألعاب الموبايل.. وفجأة وجدتها تضرب بيدها على مسند المقعد وقالت:

- يا خسارة كنت عايزة أوصل لرقم خمسمية.

التفتُ إليها وقلت لها:

- واضح إنك بتحبي الجيمز وحريفة فيه.

- يعني، أهي حاجة بتسليني لغاية لما نوصل.. بتعرف تلعب الجيمز؟.

- دلوقت لأ... كنت زمان ألعبه على الكمبيوتر.

عادت لتلعب الجيمز، وعدتُ أنا لصمتي والنظر لجانبي الطريق، وكان يتابعنا أحمد بتليفونه المحمول حتى وصلنا إلى مكان الفرح وكان في استقبالنا أحمد وأقاربه الذين رحبوا بنا وأصروا على أن نتجه مباشرة لتناول الغداء كعادة أهل القرى، ولكن شذى لم ترحب بذلك في بادئ الأمر وانتظرت أنا النتيجة، ولكن أحمد أصر على تناولنا الغداء.

هي لم تأكل شيئًا سوى بعض الفاكهة الطازجة، أما أنا فكنت أشعر بالجوع ولكنها وضعتني في موقف محرج للغاية، تخوفت أن تراقبني وأنا آكل؛ خاصةً أن أنواع الأكل المتراصة على الترابيزة تفتح الشهية؛ وأظن أن أحمد أوصى أقاربه بذلك؛ فكنتُ أتنزه بين الأطباق، تناولتُ كميات بسيطة بالكاد سدت

بعض فراغ معدتي الخاوية، وأكملتُ بالفاكهة، وجاء أحمد إلينا فوجدنا لم نأكل شيئًا ولكنه لم يعلق كثيرًا وعلى الفور بادرته شذى بأنها تريد أن ترى العروسة لكي تبارك لها فاتجهنا سويًا فأخرجت من شنطة يدها علبة قطيفة وفتحتها وأخرجت منها خاتم ذهبي ثمين وضعته في إصبع العروسة ثم قبلتها وسط زغاريد الموجودين، واستأذنت من أحمد لكي نغادر، وعندما تعجب من ذلك خاصة أننا لم نمكث إلا فترة قصيرة، ولكنها أفهمته بأن عمها جاء من أمريكا وسوف يحضر لزيارتهم اليوم مساءً ويجب أن تغادر الآن.. باءت كل محاولات أحمد بالفشل لإثنائها عن المغادرة.

انصرفنا في الحال.. وكما ذهبنا عدنا؛ لم نتحدث في أي موضوعات، هي أسندت رأسها على المقعد ووضعت سماعة الموبايل على أذنيها وعاشت مع نفسها تستمع للموسيقى، وأنا أنظر لجانبي الطريق.. وما أن وصلنا لداخل القاهرة طلبت منها أن أنزل في أي مكان حتى تتمكن من اللحاق بموعد زيارة عمها ولكنها أصرت على توصيلي إلى منزلي.

ذهبتُ إلى العمل في اليوم التالي، اعتقدتُ في بادئ الأمر بأنني جئتُ مبكرًا بعض الوقت، فنظرت في ساعة الموبايل فوجدتها الثامنة والنصف فاندهشت فلم يحضر باهر فهو أول من يحضر للعمل ولكنه لم يصل بعد.. ومرت ساعة كاملة، الشيء المحير

أن شذى لم تأتي بعد فهي أحيانًا تأتي متأخرة بعض الوقت؛ ولكن ليس بهذا القدر من التأخير، ولكن إيه حكاية باهر، ده ما بيتأخرش خالص.. مرّت ساعتان فأيقنت أن في الأمر شيئًا وبصراحة تخوفت من أن يطلب رئيس الشركة أي ملف لم أكن على دراية به ويبقى شكلي وحش قدامه، قررت أن أطلب باهر لكي أطمئن عليه فعرفت منه بأن زوجته قد وضعت واضطر للتغيب عن العمل، وهون من تخوفي بأن أتصل به في حالة طلب رئيس الشركة لأي ملف، ولكنه عندما علم بغياب شذى أيضًا طلب مني أن أتصل بها للاطمئنان عليها وأملاني رقم تليفونها المحمول، ولكنني ترددت أن أطلبها في بادئ الأمر.. ومرت نصف الساعة وأنا على هذا الحال، ولكنني قررت أن أتصل بها، طلبتها، ظلّ تليفونها يرن دون أن ترد، تأكدت من الرقم فوجدته صحيحًا، خجلت من طلبها مرة أخرى فقد تكون نائمة أو هناك ما يشغلها.

انشغلت في عملي المكلف به، ولكن لم تمر سوى عشر دقائق حتى رنّ تليفوني المحمول وكانت هي المتحدثة:

- ....

- أنا المهندس طارق.... بس كنت عايز أطمئن عليكي علشان ما جيتيش الشغل.

- ....

- معقولة ! طيب توصلي بالسلامة.

لم تمر ربع ساعة ووجدتها أمامي، فعرفت منها أنها فعلاً كانت لن تحضر هذا اليوم لأنها مرهقة وأرادت أن تستريح، ولكن رئيس الشركة طلبها وطلب منها أن تأتي لأن هناك أمر هام.. حملتْ بعض الملفات واتجهتْ مسرعة لرئيس الشركة.

عادت بعد فترة وانهمكت في قراءة أحد الملفات، وأستمريت أنا في عملي، ولكنني أردت أن أكسر حدة الملل الذي يحيط بالمكان فقلت لها:

- مش ملاحظة إن باهر غاب النهاردة؟.

- فعلاً، ما تعرفش غاب ليه؟.

- أصل المدام ولدت إمبارح.

- ألف مبروك، لما يجي أبارك له.

كلامها دائمًا مقتضب، الرد على قدر السؤال، ومرَّ اليوم كعادته فلم أتذكر عدد الكلمات التي تحدثت بها معها.

وهكذا مرت الأيام دون تغير يذكر في العمل.. وذات مساء يوم جمعة فوجئت برنين تليفوني المحمول فوجدت اسمها واندهشت عندما وجدتها تسألني إن كنت مرتبطًا بميعاد أم لا، ولما علمتْ بأنني غير مرتبط بأي مواعيد طلبتْ مني أن تقابلني، فرحبتُ دون أن أستفسر عن أي شيء، واتفقنا على أن تمر عليَّ بالسيارة في غضون نصف الساعة، فطلبت منها أن تتصل بي عندما تقترب من المنطقة التي أقطن بها.

ارتديت ملابسي وانتظرتها، هذا هو رنين تليفونها، أجبتها فعرفت أنها اقتربت من المكان، فنزلت وراقبت قدوم سيارتها، وما أن جاءت فوجئت بأنها هي التي تقود السيارة، ركبت بجانبها وتحركنا، ولا أعلم إلى أين نتجه.. قالت لي:

- أنا متضايقة وحاسة إن نفسيتي مش مستريحة، وحبيت أخرج وأتكلم مع حد، فكرت فيك، هل يضايقك ده؟.

- لا ما يضيقنيش ولا حاجة بل يسعدني.

- طيب تحب نروح فين..

- المكان اللي يعجبك وتستريحي فيه.

- في مكان كويس أحيانًا أذهب إليه.

اتجهت مباشرة إلى كورنيش النيل وتوقفت أمام إحدى المراكب الراسية وركنت سيارتها.. دخلنا، واختارت ترابيزة في أحد أركان المكان، جاء الجرسون فسألتها عما تحب أن تطلبه ففضلت أي عصير فريش فطلبت لها وأنا مانجو، لحظات وأحضر الجرسون العصير، نظرت إليّ وقالت:

- أي طلبات نطلبها هي على حسابي لأنني أنا اللي عزماك وكفاية عطلتك النهاردة.

- لا طبعًا ما يصحش ومستحيل.

أصرت هي على أن تكون أي طلبات على حسابها فاضطرت للموافقة.

فوجئت بها تقول لي:

- ما سألتنيش متضايقة من إيه؟.

- فعلاً، بس بصراحة المفاجأة هي اللي وخداني شوية، أصل بصراحة إنتي مابتحبيش تتكلمي، ولما بتتكلمي بحس أنك بتتكلمي علشان تسمعي نفسك، وده خلاني محتار في أمرك، ده إحنا لما كنا رايحين فرح أحمد مشينا مشوار ساعتين رايح وزيهم جاى طول الطريق بتلعبى جيمز أو بتسمعي موسيقى وأنا بابص على الطريق لغاية لما حفظته.

ضحكت من قلبها وقالت:

- على فكرة أنا طول حياتي قليلة الكلام وده اللي مخلينى تعبانة نفسيًا وبأفكر كتير.

- يعني مشكلتك في قلة الكلام، خلاص أنا أعرف واحدة ست جارتنا رغاية أخليها تمسك ودانك وهات يا رغي لحد ما تتعلمي كتر الكلام.

قالت وهي تضحك:

- مش للدرجة دي، في حاجات الإنسان بيحتار يتكلم فيها إزاي ومع مين، لازم إنسان يثق فيه.

- يعني أنا مصدر ثقة عندك؟.

- ممكن، ولو إني ما أعرفكش بالقدر الكافي.

بدأت أتكلم عن نفسي وأسرتي وهي تنصت باهتمام، وما أن انتهيت سألتها:

- ده أنا بكل صراحة ووضوح.

سرحت للحظات ثم بدأت تتكلم عن نفسها بأنها من عائلة ثرية ومعروفة كون والدها أكبر مستورد في أكثر من مجال، ولها شقيق واحد ومقيم بأمريكا حاليًا بعد أنهى تعليمه هناك، وكانا يعيشان سويًا أثناء الدراسة في أمريكا وقد حصلت هي على بكالوريوس الهندسة وعادت للقاهرة لتكون بجانب والدتها التي كانت تصارع المرض ،ولكن لم يمهلها القدر البقاء طويلاً بجانبها فقد ماتت بعد عودتها بشهور قليلة، فأحست بفراغ كبير فأشار عليها والدها أن تعمل معه فرفضت كون أن طبيعة العمل لا تتلاءم مع دراستها، وطلبت منه أن يلحقها بأي عمل وخاصة أن له أصدقاء كثيرين من رجال الأعمال، وفعلاً التحقت بهذا العمل الذي هي فيه حاليًا، وصاحبه هو صديق حميم لوالدها وبينهما علاقة عمل أيضًا.

أنهت كلامها وراحت تنظر إلى النهر، فسألتها:

- وده اللي مخلى نفسيتك مش مستريحة ومتضايقة؟.

التفتت إليَّ، فوجدت قطرات من الدموع تتساقط من عينيها.. قالت:

- طبعًا مش هي دي المشكلة، المشكلة أن والدي قرر أن يتزوج ومن الصعب إثناؤه عن ذلك طالما اتخذ القرار، فقط أبلغنا أنا

وأخي بقراره، طبعًا أخي لم يمانع لأن الأمر لا يعنيه بشيء فهو مقيم بأمريكا ولن يعود إلا بعد سنوات؛ أو قد لا يعود؛ أما أنا فهذه مشكلة كبيرة أقلقتني وغيَّرت حساباتي، إنت معايا وفاهم إيه معنى زوجة أب في منزل أقيم فيه أنا وهي؟.

صمتُ ولم أرد عليها، ولكنها طلبت مني أن أشاركها في حل هذه المشكلة، فقلتُ لها:

- طالما أن والدك قرر ولن تستطيعي أن تعدلي من رأيه، فلابد أن تتعاملي مع الواقع، وإنتي كنتي عايشة في أمريكا والموضوعات دي بسيطة هناك.

- ليه معظم الناس فاكرين أن كل حاجة في أمريكا أو أوربا سهلة؟! زوجة الأب زي ما هنا، فهي أيضًا هناك.

- بس مش كل زوجة أب عنيفة ومتسلطة كما يعرفها معظم الناس، فهناك المحترمة أيضًا.

- الفكرة من الأساس أنا مش مقتنعة بيها، فكرت أن أعيش في شقة لوحدي، ولكن والدي لن يوافق إطلاقًا، وأنا مش عايزة أزعله.

- طيب ما ترجعي لأمريكا وتعيشي هناك مع أخوكي.

- ده أنا ما صدقت أرجع بعد ما خلصت دراستي، وعمري ما ها أفكر في الحل ده.

- إنتي مصعبة الأمور بشكل كبير، وعمر ما أي مشكلة ها تتحل بالشكل ده، وبعدين إنتي عرفتي مين اللي ها يتزوجها والدك؟ مش ممكن تكون ست محترمة وكويسة وتعجبي بيها.

ابتسمت بسخرية وتنهدت ثم قالت:

- طبعًا عارفة مين اللي ها يتجوزها والدي، هي إحدى قريباته وكانت دائمًا في خلاف مع والدتي رحمها الله.

حاولت أن أقنعها بأنها لا بد وأن تتقبل الوضع وتتعايش معه وخاصة أن والدها - كما تقول - له شخصية قوية ويستطيع حزم الأمور، ولكنها لم ترحب بكلامي... طلبت مني أن تنصرف وأوصلتني حتى المنزل، وشكرتني على قبول دعوتها للخروج.

اعتقدت بأن العلاقة بيني وبينها قد تزداد بعد مقابلتنا، إلا أن اعتقادي كان خاطئًا، ظلت كما هي لم تعرني أي اهتمام، ورغم أن هناك أوقاتًا كنت انا وهي فقط الموجودين بالمكتب.. وكنت ألاحظ أنها تتناول دائمًا بعض الأدوية بصفة مستمرة، وفي أحد الأيام وجدتها منشغلة في البحث عن شيءٍ ما داخل شنطة يدها، حتى أنها أخرجت كل محتوياتها، وكان العرق يتصبب منها بصورة ملحوظة، فأيقنت أن في الأمر شيئًا، لكني لم أتحدث معها، ولكن مع ازدياد ارتباكها لاحظنا أنا وأحمد وباهر علامات الإعياء بدأت تظهر على وجهها، فتشجعت واتجهت ناحيتها وسألتها:

- خير يا آنسة شذى في حاجة تعباكي؟.

ردت بصوت يكاد يخرج منها:

- حاسة إني تعبانة ومش لاقية الدواء اللي بأخذه الظاهر نسيته.

- طيب إديني اسمه وأنا أنزل أجيبه من أقرب صيدلية.

لم تتردد، وكتبت لي اسم الدواء.. نزلتُ مسرعًا لأقرب صيدلية وعدت إليها وناولتها إياه، أسندت رأسها على الكرسي الذي تجلس عليه وتركناها تستريح إلى أن عادت لطبيعتها، فنصحناها بأن تنصرف، وفعلاً اتصلت بسائقها، ولم تمر نصف الساعة إلا وحضر السائق وانصرفت؛ دون حتى أن تشكرنا، وقد اندهشنا من موقفها، ولكننا أرجعنا ذلك إلى الحالة التي هي عليها.

عدتُ إلى المنزل وتناولت الغداء مع والدتي، وشعرتُ أنني أريد أن أنام بعض الوقت... استيقظتُ على رنين تليفوني المحمول فوجدت رقمها:

- ألو، أهلاً آنسة شذى، يا ترى صحتك عاملة إيه دلوقت؟.

- ....

- الحمد لله، يا ريت تاخدي بالك من نفسك شوية واضح إنك مرهقة جدًا.

- ....

- لا شكر على واجب وكفاية إنك طمنتيني على نفسك.

- ....

- تحت أمرك... في نفس المكان وإمتى؟.

- ....

- أنا هاجى بنفسي علشان هاكون قريب من المكان علشان عندي مشوار بالقرب منه.

- ....

- لا فعلاً بجد هاكون بالقرب منه.

كذبتُ عليها، فلم يكن لدي مشوار بالقرب من المكان، ولكن فضلت ألا تحضر إليَّ، فهناك ماسورة مجاري كُسرت وطفحت بالشارع، ورأيت أنه من الصعب وصولها للمكان، وسأكون في موقف محرج.

وجدتها في انتظاري، وتقريبًا على نفس الترابيزة التي جلسنا عليها في المرة السابقة، وما أن جلستُ؛ تأسفتُ على التأخير بعض الوقت، طلبتْ هي عصير مانجو وأنا قهوة حيث كنت أشعر بالخمول، نظرت إليَّ وقالت:

- بأشكرك مرة ثانية على تعبك معايا النهاردة.

- على إيه، إنتي أخت وصديقة غالية.

- لكن أنا شفت أنك أول واحد كنت فعلاً حاسس بيا.

- إنتي أخت لينا جميعًا وكلنا بنعزك.

- لكن كنت عايز أسألك... إنتَ حاسس فعلاً أن نفسيتي تعبانة؟.

- والله إنتي اللي واخدة المواضيع بصورة صعبة وده اللي خلاكي في الوضع ده، وكمان كثرة المهدئات اللي بتاخديها من الممكن أن تؤثر عليكي في المستقبل بصورة سلبية.

وجدتها تبكي بحرقة حتى أنني خجلت من نفسي، فقد أحسست أن كلامي كان صريحًا معها، سكتُ ولم أتحدث إلى أن عادت لطبيعتها، فاعتذرت لها عن كلامي، إلا أنها فاجئتني بشيء لم يكن في الحسبان ولم يمر على تفكيري يومًا ما، والشيء الذي أدهشني فعلاً هو جرأتها عندما قالت لي:

- أنا عايزة أتجوزك لأني حاسة إنك أنسب واحد ليا وتقدر تفهمني، طبعًا فاجئتك بكلامي وما كنتش تنتظر مني أن أطلب أنا منك ذلك.

لا زلتُ تحت تأثير الاندهاش الذي أثر عليَّ وأصبحت في حالة لا يرثى لها فلم أستطع الرد عليها وبدأت أتلعثم في الكلام فآثرتُ الصمت، وقد لاحظت هي ذلك فأنقذتني بلباقة عندما طلبت مني ألا أستعجل في الرد.

وانصرفنا ولم نتحدث في الموضوع بل كان حديثنا عن والدها الذي تزوج وبات الأمر بالنسبةلها صعب جداً حيث لاحظتْ أن والدها قد تجاهلها بصورة أثرت عليها.

لم أنم تلك الليلة، فقد وجدتُ نفسي في مأزق حقيقي، كان تفكيري يحوم حول شكلها فهي ليست جميلة إطلاقًا، نعم هي

غنية ولبقة وشيك في ملبسها ومتعلمة في أمريكا ولكن كل مميزاتها لا تشفع لها العدم في جمالها، فسبحان الخالق وله في ذلك حكم، فهي لا تتمتع بأي مفاتن جمالية ولا يظهر لها نتوءات تميزها كأنثى، كما أنها دائمًا متوترة نفسيًا... وإن قبلتُ فرضًا فهل أسرتي سترحب بها؟، أعتقد سيكون ذلك مستحيلاً.

ظللت أفكر في أكثر من مخرج، فقد فكرت أن أترك العمل، لكنني تراجعت فقد حفيت قدماي حتى حصلت على هذه الفرصة، وأيضًا فكرتُ أن أقول لها بأنني مرتبط بواحدة وأحبها، ولكنني راجعت كلامي معها في المرتين اللتين جلسنا فيهما سويًا فوجدت أنني قد أبلغتها بأنه لم تدخل قلبي واحدة حتى الآن...

إلى أن هداني شيطان عقلي إلى فكرة أستطيع بها أن أتملص منها دون رجعة...

▪ أنا آه.....

ـ أنا لا أستطيع أن أتزوج...

هكذا قلت لها أثناء لقائيبها عندما طلبتْ مني بعد مرور ما يقرب من أسبوع أن نلتقي، وتقابلنا في نفس المكان والزمان، ولكنها قالت لي وبثقة مفرطة:

ـ أنا عارفة إنك مش مستعد للزواج ولا تملك فلوس... كل هذه الأشياء لا تهمني في شيء، وسوف أجهز كل شيء دون أن تتكلف أي مبلغ، وبالنسبة لوالدتك فلا تقلق فسوف تكون معنا وأعتقد أنك بذلك لن تكون عندك مشكلة.

قالت كلامها ولم تعطني فرصة للتحدث، فأحسست بأن فكري قد شت فجاهدتُ حتى لملمت نفسي وقلت لها:

- بأشكرك على كل اللي قلتيه، ولكن المشكلة مش في عدم استعدادي ماديًا للزواج، ولكنني وبصراحةٍ تامة أنا لست قادر على الزواج جسمانيًا.

قلت ذلك وكأن حجرًا كان فوق صدري وتزحزح، فاسترحتُ، ولكنها بادرت بالرد مسرعة فقالت:

- أنا مش شايفة إنك مريض والحمد لله صحتك كويسة، وإنت معانا في العمل من فترة ولم تشتكى من شيء.

أخذتُ قراري وأحسست بأنني مقدم على عمل انتحاري وذلك حتى أنتهي من هذا الموضوع الذي أقلقني بشدة، ترددتُ للحظات ولكنني تجرأتُ فأفهمتها بأنني عاجز جنسيًا، وهذا ما أقصده، وأنني لا أستطيع أن أتزوج.

قلت ذلك وقصدت أن أبعد بنظري عنها وحتى لا أعطيها الفرصة بأن تتحدث معي وتسألني أسئلة قد لا أستطيع أن أجاوب عليها فاستأذنت منها بأن أغادر المكان بمفردي كإجراء آخر للابتعاد عن أي مناقشات خلال ركوبي معها السيارة، وطلبت منها أن يكون ما قلته لها سرًا بيننا..

رأيتُ علامات الاندهاش على وجهها، وما زادها حيرة أنها حاولت أن تتحدث معي لبضع دقائق إلا أنني انصرفت بسرعة

وتركتها عائدًا إلى منزلي، استلقيت على السرير أفكر فيما قلته اليوم ولكنني استرحت، فقد أنهيت هذا الموضوع.

عدنا للعمل في اليوم التالي وكأن شيئًا لم يحدث؛ هي كما هي وأنا لم أحاول أن أنظر إليها أو أتحدث معها حتى في أمور العمل فقد أوكلت ذلك لأحمد وياهر، وكلما مرَّ يومٌ ولم تطلبني تليفونيًا تزداد سعادتي، إذًا فقد صرفت النظر عني.

أحسست بأنني أريد أن أروح عن نفسي فلم أخرج للتنزه منذ فترة فقررت أن أذهب إلى السينما... احترتُ بين الأفلام المعروضة فأنا لا أهوى أفلام الأكشن المصرية فكلها تشبه الأفلام الهندية، وكل الأفلام الكوميدية لا تمت للكوميديا بصلة، فاخترت أن أشاهد أحد الأفلام الرومانسية الأجنبية؛ وهو للكبار فقط، جاهدت للحصول على تذكرة واضطررت لشرائها بأغلى من ثمنها فالتزاحم على الفيلم شديد كونه للكبار فقط، الفيلم قصته مليئة بالحب المتوهج ومناظره تلهب المشاعر، أحسست بأن أحاسيسي لم تتفاعل مع مناظر الفيلم الصارخة، قلت في نفسي "إنه إرهاق العمل"... انتهى الفيلم وخرجت وأنا أفكر في حالتي فلم يصادفني من قبل ما حدث فكنت أتفاعل بصورة تقلقني أحيانًا.. وصلت المنزل، حاولت أن أتناول طعام العشاء فكانت شهيتي لا تتقبل، حاولت أن أشغل نفسي بشيء يبعد عني تفكيري، ففتحت التلفزيون، وأخذت أتنقل بين قنواته لعلني أجد

شيئًا يشدني، معارك على الحدود بين كل دولتين متجاورتين، تفجيرات إرهابية، قرصنة، قتل، نصب واحتيال، مظاهرات، انقلابات، مجاعات، فتن طائفية.. حتى القناة التي تعرض عالم الحيوان تذيع فيلم لثعبان كبير وهو يبتلع ظبيًا صغيرًا، حتى الأسد ملك الغابة هوى وانهزم فقد هاجمته مجموعة كبيرة من الحمار الوحشي ظلت تقاتله حتى قُتل، والأعجب أن زوجته اللبوة راقبت الموقف عن بُعد ولم تتحرك لإنقاذه.

حولت لقمر آخر، وأخذت أتنقل بين قنواته، فتوقفت عند إحدى القنوات التي كانت تعرض أحد الأفلام التي تقارب الأفلام الجنسية، الفيلم جريء في مضمونه، سخونته تزداد مع مرور الوقت ولكنني كما أنا في حالة استرخاء تام... وقفتُ مذعورًا وقلت في نفسي: "لا، إنها لعنة شذى قد حلَّت عليَّ".

أعددت كوبًا من الليمون البارد لعلني أهدأ، ولكن هواجسي قد بدأت تتملك مني، حاولت أن أنام فلم أستطع حتى الصباح، أحسستُ أنني مرهق فلم أذهب إلى العمل، اتصلت بزميلي باهر وأبلغته بأنني مريض، حتى أن والدتي لاحظت على وجهي علامات الإرهاق وحاولت معي بكل الطرق أن أتناول أي طعام دون جدوى، ظللت راقدًا على السرير في حالة يُرثى لها، تفكيري يأخذني هنا وهناك، أصرت والدتي بأن أقوم وأجلس معها ومع إصرارها اضطررت.. قالت لي:

ـ كان ها يفوتك الماتش النهارده مصر بتلعب.

ـ الواحد ما فيهوش دماغ يتفرج على كورة يا حاجة.

ـ يا عم فرفش علشان تخف.

والدتي تعرف مدى عشقي لكرة القدم؛ وخاصة المباريات التي يكون المنتخب المصري طرفًا فيها، فتحت التلفزيون وكان الماتش منقول على الهواء مباشرة من إحدى الدول الأفريقية وبدأت المباراة، الفريق الأفريقي يهاجم بقوة والدفاع المصري مستأسد، فاول على حدود منطقة جزاء الفريق المصري، تصدى للكرة أحد لاعبي الفريق الأفريقي بقدمه فخرجت كالطلقة ولكنها جاءت أسفل بطن اللاعب المصري فطرحته أرضًا يتلوى ويضرب بيده أرض الملعب من شدة الألم، استدعى حكم المباراة طبيب الفريق الذي حاول علاجه داخل الملعب، ولكن الحالة من الواضح أنها صعبة، جاءت سيارة الإسعاف وحملته وهو يصرخ... عادت لي المواجع وأردت أن أصرخ مثل اللاعب المصري.

حيرتي زادت، ماذا أفعل؟

قررت أن أتصل بأحد أصدقائي القدامى وهو أقربهم لي ويدعى مجدي، اتصلت به وطلبت أن أقابله فورًا فرحب بحضوري لمنزله فهو متزوج منذ فترة.. وما إن جلسنا قال:

ـ شكلك تعبان... في حاجة شغلاك؟

حكيت له الموضوع من أول حكاية شذى حتى الأحداث الأخيرة.
نظر إليَّ وضحك بصورة هستيرية وقال:
- يعني أنت الآن فاصل شحن.
- أيوه فعلاً فاصل شحن ومحتاج مشورتك.
- مشكلتك يا عم طارق سهلة وعلاجها تنشيط الدورة الدموية.
- ودي تتنشط إزاي؟
- جرى إيه يا طقطق أنت مش بتفهم بسرعة زي زمان ليه؟
- أقصد أنشطها فين؟.
- عليك وعلى سيكاس.
- سيكاس مين؟.
- سيكاس مين؟ قوام نسيت سيد المكوجي يا جدع.
- سيكاس... يااااااه فكرتني بأيام الشقاوة.

قررت أن أتوجه مباشرة لسيكاس المكوجي، وما أن وصلت وجدت الدكان مغلقًا، فسألت الجزار المجاور له فعرفت منه أنه ترك الدكان وفتح مغسلة في منطقة المهندسين فحصلت على العنوان.. استقليت تاكسي واتجهت للمهندسين، وما أن تقابلت مع سيكاس وتذكرنا بعضنا طلبت منه يشوف لي حاجة كويسة وما تكونش مضروبة، إلا أن سيكاس ضحك بسخرية وقال :
- الكلام ده كان زمان يا هندسة، أنا غيرت النشاط ودلوقت بأشتغل في الحلال.

- يعني إيه تويت؟!.

- حاجة زي كده، أنا دلوقت بأشتغل سمسار جواز عمومي

- تقصد إيه يا أسطى سيكاس؟

- يعنى بأشتغل في السليم، عندي الجواز على كل لون، شرعي دائم، شرعي مشروط بطلاق، عرفي بورقتين، عرفي بورقة واحدة، متعة محددة المدة، وكمان عندي المحلل، وكمان عندي تصدير واستيراد بس قانوني ما فيش حاجة مش عندي، يعني بأشتغل في السليم وكله في الحلال وبعدنا عن الحرام، عايزين نربي ولادنا بقرش حلال، لو ليك شوق، إنت عرفت اللستة اختار وها أخدمك، بس إنت تؤمر.

- أفكر وأرد عليك.

- عمومًا الكارت بتاعى أهه، عندك تلاتة موبايل؛ لكل شبكة واحد علشان أي شبكة تسقط ما يتعطلش الشغل، واطلبني في أي وقت، ما عدا يوم الجمعة اتصل بعد الصلاة أو سيب رسالة وأنا ها أتصل بيك.

تركت سيكاس ووقفت أنتظر تاكسي، اندهشت من كلامه، "الله يخرب بيتك يا سيكاس، ده أنت كنت مكوجى كحيان، انقلبت فجأة لصاحب مغسلة وفين؟ في المهندسين!، دلوقت أصبحت سمسار جواز وعامل لستة وكارت وموبيلات، إيه ده كله"... هكذا حدثت نفسي.

استقليت التاكسي متوجهًا لمنزلي، نظر إليَّ السائق في المرآة وقال:

- شايف سيادتك كنت واقف بتتكلم مع سيكاس كامبنى.

- هو اسمه سيكاس كامبنى!.

- آه يا سيدي، ده معروف على مستوى العالم، ده تحت أيده جيش من مجاميعه وبيعرف يمشي أموره كويس، هو أنت - لا مؤاخذة من سؤالي- ليك معاه مصلحة؟.

- لأ.

- أصله ما بيشتغلش إلا نظام جواز وعمولته عالية قوي وزباينه من المتريشين ومش أي حد يتعامل معاه، لو عايز حاجة مستريحة ومضمونة، عندي طلبك.

- لأ.. متشكر.

- عمومًا لو فكرت في يوم وعايز تفرفش، يعني نظام تعفير أزرق ومية صفرا والحلو موجود وزي ما أنت عايز، وعندي خدمة التوصيل للمنازل؛ دليفري يعني، إحنا برضه تحت أمرك، عمومًا خد الرقم ده سجله عندك باسم أخوك عيسوي.

تعجبت من كلام عيسوي سائق التاكسي وقلت في نفسي "سيكاس كامبنى وعيسوي سواق التاكسي شغالين في الفرفشة دي الحكاية وسعت قوي".

عدت إلى المنزل وكنت آمل أن أنشط الدورة الدموية؛ كما قال لي صديقي مجدي، أعصابي زادت توترًا، عقلي شُل تفكيره، أحسست بأن أمواج بحر عاتية تقذف بي هنا وهناك ولا أجد من ينقذني.

عاودتُ الاتصال بصديقي مجدي وشرحت له ما حدث فأوصاني أن أذهب لأستجم في الإسكندرية ويكون طعامي كله فسفور فهو الذي سيعيد لي النشاط والحيوية...

حصلت على أجازة لمدة ثلاثة أيام وسافرت للإسكندرية وما أن وطأت قدماي ذهبت لأحد مطاعم الأسماك وطلبت وجبة فسفورية بداية من شوربة السي فود مرورًا بالجمبري وانتهت بالاستاكوزا، شعرت فعلاً بأن جسمي أصبح متوهجًا بالحرارة وأذني يخرج منها لسان من النار وأحمرت عيناي والعرق بدأ يتصبب من كل مسام جسمي فعرفت أن الفسفور بدأ مفعوله يسري.. مشيت على كورنيش البحر، ورغم برودة الجو إلا أنني كنت أشعر بالدفأ، جاءني صوتٌ من خلفي:

- إنت يا اللي ماشى.

لم أتنبه في البداية فتوقفت ونظرت خلفي فوجدتها وراءي مباشرة؛ إنها امرأة، نظرت إليَّ مبتسمة وقالت:

- إنت يا اللي ماشى لوحدك ومطنشني.

- تقصديني أنا؟.

- هو في حد ماشي وأنا ماشية وراه غيرك.

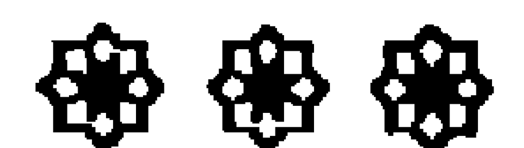
- أي خدمة.

- أنا اللي عايزة أخدمك.

فهمت غرضها وذهبت معها؛ ويا ليتني ما ذهبت؛ فقد تحققت من واقعي المرير، لم تتحرك غريزتي بالمرة، وما أحزنني سهامها التي أطلقتها عليَّ عندما قالت لي وهي تضحك بسخرية "أنا قلت لقيت مرادي اللي ها يدفيني، طلعنا أخوات في الرضاعة".

أحسستُ أنني فعلاً انتهيت حاولت أن أتمالك نفسي بشتى الطرق ولكنني لم أستطع، عدت لكورنيش البحر تحملني قدماي بصعوبة بالغة فقد خارت قواي. شارد الذهن لا أعرف كيف أفكر ولا أين أنا ذاهب، سقطت مغشيًا عليَّ، ولم أتذكر إلا آخر ما قلته: "إنها لعنة شذى".

كان معكم طارق مرشدي وشهرتي "طارق ما فيش" ...
أحدثكم من داخل مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية.



المؤلف في سطور

- عادل محمد عبد الله إدريس المسلمي
- كاتب ساخر وقصاص مصري، من مواليد عام ١٩٥٢م
- حاصل على بكالوريوس التجارة ودبلوم الدراسات العليا من جامعة القاهرة
- اختتم حياته العملية رئيس قطاع بإحدى شركات قطاع الأعمال.
- صاحب مدونة "مدونة أستبوليا كافيه"
- المؤلفات :

- دقشوم : رواية
- حارة طحيمر "حكايات مرداش النني"
- غواص في بحر الأذى
- لا.. يا من كنت
- حدث في كفر زلابيا
- أني عائد من هناك
- الرقص بدون طبلة
- شطحات وآهات : زجل
- السهراية : زجل
- اتفرج يا سلام : قصص قصيرة من الأدب الساخر

شمس للنشر والإعلام، القاهرة ٢٠١٣م

- البريد الإلكتروني: edris_adel@yahoo.com

الفهرس

في مسعى جاد لتقديم رؤية جديدة تسهم في تصحيح العديد من المسارات في مجال النشر،تأسست "مؤسسة شمس للنشر والإعلام" كخطوة على طريق إرساء أسس مشروع ثقافي متكامل يهدف إلى نشر الإبداع العربي في كافة التخصصات، وإثراء صناعة النشر، وتقديم إضافة حقيقية إلى مسيرة الكتاب العربي، وفق رؤى متوازنة تجمع ما بين طبيعة عملها كمؤسسة تجارية تتطلع إلى تحقيق الربح والانتشار، وبين تحقيق رسالتها الثقافية.

وتهدف "مؤسسة شمس للنشر والإعلام" إلى تحقيق عدد من الغايات، تتمثل في:

- إتاحة الثقافة الرفيعة للقارئ، وتلبية حاجاته من المعرفة.
- تفعيل حركة النشر، خاصة لشباب المؤلفين، ورعاية وتشجيع المبدعين، ودعم قدراتهم الفكرية والأدبية، والعمل على إبرازها.
- الإسهام الفعال في نشر الإبداع العربي، من خلال سياسات ترويج وتوزيع تتلاءم ومقتضيات العصر.
- حماية الحقوق الفكرية والمادية للكتاب، وإعادة صياغة أسس التعامل المادي مع المؤلفين وفق قواعد أكثر إنصافا.

- التعريف بالكاتب والكتاب إعلامياً وجماهيرياً، ومد جسور التواصل بين المبدع والمتلقي.
- الوصول بالإبداع العربي إلى القارئ غير العربي، من خلال ترجمة الإصدارات العربية المتميزة إلى لغات مختلفة، والعمل على خلق آفاق عالمية لنشرها بالتعاون مع دور نشر احترافية.
- إثراء الحياة الثقافية بالأنشطة والندوات والفعاليات، من خلال رؤى تنظيمية وترويجية تضمن نجاحها والمشاركة الفاعلة فيها.
- توثيق الصلات بين دور النشر المحلية والعربية والدولية، وكذلك بين الكتاب والمثقفين العرب، والتواصل الفاعل مع المهتمين على اختلاف توجهاتهم، وفق صيغ تعاون إيجابية.

ويرتكز عمل المؤسسة على منهاج "احترام الكاتب والكتاب" مادياً وأدبياً ومعنوياً، وفق عدة معايير تقوم على الالتزام التام بأخلاقيات مهنة النشر. وتسعى لتقديم رؤية جديدة لصناعة الكتاب تشمل الدقة في انتقاء المحتوى، والجودة في إخراجه وتصميمه وتنفيذه وطباعته، والاهتمام بنشره وترويجه إعلامياً ودعائياً، بما يضمن له مكاناً بارزاً في مكتبة القارئ.

شمس للنشر والإعلام

www.shams-group.net

(+2) 02 27270004 / (+2) 01288890065



(+2) 02 27270004 / (+2) 01288890065
www.shams-group.net

لا زال الجهل يتملك منا ، حتى أصبح متسرطنًا بعقولنا ، فالعادات والتقاليد الموروثة صارت سمة من سمات مجتمعنا بطيبته المفرعة، فمهما كان هناك تحضر بأشكاله المختلفة ، ومهما كانت هناك عقول نالت من درجات العلم.. فإن السذاجة المفرطة تأبى أن تفارقها .

عادل إدريس المسلمي

"اتفرج ياسلام" رحلة ساخرة نبحر فيها مع شخصيات من جوف الأرض المصرية :
المعلم فتوح صاحب مقهى <على مزاجك> ، عم حسنين الصرماتي ، ريعو البقال ، عم شعبان الورداني النجار ، عم جابر الأعرج بائع العسلية ، الحاج زغلول صاحب محل الخردوات ، الحاج عليوة عنيزة شحتور عضو مجلس الشعب ، الشيخ طحاوي شيخ الطريقة ، الشيخ عباس بابا ، حونه الفُنّني المخبول ، الحاج فرغلي منشد الموالد ، عزوز المسلكاتي سائق
خليل برشامة ، الصول عباس مرزية ؛ السجان ، النشالين : عتريس شالموه وسي
النشالات : سنية دندش وفكرية العامشة ونواعم فرط الرمان ، الأستاذ جلال السرس
الوزارة السابق ، الأستاذ سعيد كاتب المحامي ، مدحت المنسترلى زير النساء ، فتح
موظفة العلاقات العامة ، درويش البواب ، الحاج شمندي تاجر البلح ، الست عط
طارق خريج كلية الهندسة قسم عمارة ، شذى خريجة هندسة برضه بس من أمريكا
وغيرها من شخصيات قد تقابلها في الشارع المصري

ISBN 9789774931208
9 789774 931208